رسالة عن السودان

كتبها

البكباشى ا٠ح٠ محمد نجيب
قائد الالآي الثانى سيارات الحدود الخفيفه

١٩٤٣



اللواء أ . ح . محمد نجيب رئيس مجلس الوزراء
يوقع اتفاقية السودان يوم ١٢ فبراير سنة ١٩٥٣م

رسالة عن السودان

كتبها

البكباشي ا. ح. محمد نجيب

قائد الآلاى الثانى سيارات الحدود الخفيفة

١٩٤٣

المطبعة الأميرية بالقاهرة

١٩٥٤



ملازم ثان محمد نجيب بالكتيبة السابعة عشرة مشاة بالخرطوم عام ١٩٢١

رجاء هام

نظرا لعامل السرعة فى طبع هذه الرسالة بمناسبة قيام الرئيس فجأة إلى السودان لم يتسع الوقت لتصحيح البروفة الأولى لهذه الرسالة لهذا فقد وقعت عدة أخطاء مطبعية نرجو القارئ تلافيها بتصويبها بالقلم تبعا للبيان التالى:

الصحيفة	السطر	التصويب
ا	٩	لتحدث لولا .
	١١	الصحيح بالسودان .
د	١	إن الرئيس .
	٤	تعرض إلى العلاج وكان موفق الرأى .
	٨	و إن صلة .
	٩	الصلة بعد .
١	٤	مناهلها .
	٦	يفكر مصرى .
٢	٥	غيرنا .
٣	١٥،١٧	ثانيا — ثالثا .
	١٧	فى البحر الأحمر .
٤	١٧	المسئولين .
	الصورة	فالدرديرى محمد عثمان فالسيد محمد عثمان الميرغنى فميرغنى حمزه فعبد الماجد أحمد .
٦	١٨	وتجاور مستعمراتها .
٨	١٩	فيها عن .
٩	١	تضمن المحافظة .
١١	٢١	وقربوا إليهم .
١٢	١	به غيره .
١٤	١٧	فى نيتها .
	٢١	يعمل كل منها تحت راية المؤتمر ما [illegible] .
١٥	١٢	يرميهم به .
	١٥	خشيتهم من .
	١٨	وتمثيل خارجى .
١٨	١	إسلامية .
١٩	١	الأخطاء .
	٣	ومدنية .

الصحيفة	السطر	التصويب
١٩	٦	نعرف عن .
	١٠	نادرا .
	١٨	لاقوا .
	٢١	لأن عودتهم .
٢٠	٢	فيستوطنونه .
	٦	الشخصيات البارزة .
	١٣	الانجليز فى .
	١٤	بالسودان .
	١٦	علمية أو صحية .
	١٧	العراقيل أو .
	١٩	سياسة معينة ثابتة نسير عليها .
٢١	٤	يتهافتون .
	٦	ناحية الرقابة .
	١٢	الإقامة بالسودان .
	١٣	يعيرنا به .
	١٨	التنبيه الى .
	٢٣	سوى .
٢٤	٧	إخواننا السودانيون .
٢٥	٨	إن للسودانى .
٢٦	١٤	سيعرضنا .
	١٩	والا فليأتى ... وسنكون .
	٢١	وتعيين سودانيين .
٢٧	١٥	(٣)
	١٦	إنه حدث .
٢٨	٢	على تنفيذ .
	٤	وهم قد لا يمهلوننا ... كما تظنون .
٣٢	٢٠	عن الدولتين .
٣٣	٤	ولم تكن .
	١٠	الى ايطاليا عام .
٣٤	١١	وجزءا .
	١٧	بين النيل .

الصحيفة	السطر	التصويب
٣٤	١٨	الشمالى لبحيرة .
٣٦	٦	استرضاءا لها .
٣٩	٢١	بل إن لسمو .
٤٠	٧	فى المهرجان .
٤٦	١٣	وشد لأزرنا .
٤٧	١٩	على ترديدها من .
٤٨	٤	التعاون و إنه .
	٨	ماتم من .
٤٩	١٠	الاتحاد هو .
	١٢	والمنعة والعزة .
٥٣	٢	السودانيون .
٥٤	٩	بكم حفلكم .
٥٥	٥	فبفضل الاتحاد .
٥٦	١٩	ثلاث سنوات .
٥٧	١٨	و يبعث لظى الاحقاد .
٥٩	٨	اتفاق الشرفاء .
٦٤	٣	المسائل التاريخية .
	٩	وادى النيل .
٦٦	١٨	عليهما .
	٢٠	الافريقية .
٧٠	١٦	وفى حصارها الذى .
	١٩	وقيل إنه .
٧١	٢	و اقتربت .
	١٤	وابن عمة هو .
	١٩	لحياة الجندية .
	٢٢	النزعة الدينية .
٧٢	١٦	جيش المهدى .
	١٩	إذ أن قوافل التجارة .
	٢٠	هذه الفترة ... لاسيما عن .
٧٥	٤	تحذف « بناحية ساقية أبو معلا » .

صحيفة	السطر	التصويب
٧٥	١٨	فيزوق .
٧٦	٢	وليمة بالخلوة .
	٦	فى هذه الخلوات .
٧٧	٣	هذه المهمة .
٧٨	١٦	استثنائية .
٨١	٥	على المستر .
	٢٠	مناديا إياهم .
٩١	٢	شهادة البكالوريا .
٩٢	١٥	اللواء الأبيض .
	١٨	فى نقله بعدها بقليل .
	٢٠	محمود محمد فرغلى .
٩٣	٢	القائمقام عبد الدائم محمد .
٩٣	٥	زين العابدين عبد التام .
	١٦	عبد الرحيم بالخرطوم .
	١٨	عبد اللطيف ، وبيانات عن أسرهم وأحوالهم .
٩٤	١٩	الخ . وكان ذلك سببا فى حرمانه من قيادة الكتيبة الثامنة المشاة التى كانت قائمة إلى السودان . كما نقل إلى سلاح الحدود وحرم من زيارة القاهرة ولو باجازة من سنة ٤٦ إلى سنة ٤٧ .
	٢٠	بعض الفرق .
	٢١	الغربية وفى ليبيا وتونس .
٩٥	٣	فى منزله ، ولما بلغ أمر هذه الاتصالات بقلم المخابرات
	٤	من النزول .
	٦	قائد لقوات المتطوعين .
	٩	والأميرالاى السيد شحاته .
	١٥	عبد اللطيف رئيس جمعية اللواء الأبيض .
	٢٠	موسى الطيب .
	٢١	خميس بخيت .
٩٦	١٢	والمرحوم الملازم بشرى محمد خير والملازم بشير طمبل واليوزباشى أحمد خالد والملازم سر الختم إبراهيم والملازم محمد ثابر عيسى وغيرهم .

تقـــديم

وضع الرئيس محمــد نجيب رسالة فى عام ١٩٤٣ بعنوان "ماذا يجرى فى السودان ؟" وكان إذ ذاك ضابطا برتبة البكباشى فى سلاح الحدود ثم اختصرها وعقب عليها بعد تطورات الاحداث فى عام ١٩٤٩ ، كما وضع قبل ذلك بحثا عن "يد الاستعمار على حدود السودان" ثم أردف ذلك بعجالة عن "اللغة والأدب فى جنوب الوادى" وهذه الرسائل الثلاث يتضمنها هــذا الكتيب ، وفى جميع ما كتب الرئيس محمد نجيب كان يهدف الى التعريف بالسودان ونشر الحقيقة عنه ، هـــذه الحقيقة التى كانت مجهولة أو مستورة عن عيون كثير من المصريين ، والتى خلقت من السودان مشكلة ما كانت لتكون لولا هذا الجهل بشئون جنوب الوادى ؛ وكان يرى ألا سبيل إلى توثيق عرى هذه الصلات الطبيعية إلا بالتعريف الصحيح بالسودان وأهله ، واستثارة العناية بشئونه ، عن طريق تبادل الزيارة ودراسة شتى نواحى حياتنا الثقافية والاقتصادية المشتركة وتضمين شئون السودان مناهج الدراسة فى مصر ، فهذا وحده كفيل بتحقيق أهداف الداعين إلى وحدة الوادى ، وهذا هو هدف هذا الكتيب .

ويلاحظ أن الرئيس عرض لكثير من مسائل السودان فى صراحة تامة فلم يحاول أن يتستر على بعض الحقائق لأنها مؤلمة ، بل على النقيض من هذا عالجها كما يعالج الطبيب العلة ، ولم يقف الرئيس عند الوصف والعرض والتحليل ، بل تعرض إلى العلاج وكان موفق الرأى بعيد النظرة لأنه كان مخلصا لقضية الوادى ، والدليل على ذلك أن هذه المقترحات التى أبداها منذ عشر سنوات أصبحت بالفعل برنامج العهد الجديد فى مصر لحل مسألة السودان .

وأن صلة الرئيس بالسودان لم تنقطع ، فقد ولد ونشأ فى السودان وعاد إليه ضابطا صغيرا وضابطا كبيرا ، كما لم تنقطع هذه الصلة بعد إستقراره فى القاهرة ؛ لهذا رأيت من الضرورى أن أضع ترجمة سريعة لنشأة الرئيس فى السودان وهى مرحلة الدراسة والإعداد والجهاد الأول أختم بها الكتيب ، وهى فى الحقيقة صورة خاطفة لأهم أحداث مصر والسودان المشتركة فى هذه الحقبة ، ولسير روادحركة التحرير فى جنوب الوادى ، فهى ليست ترجمة فرد بل تاريخ أمة مجاهدة مكافحة فى سبيل الحرية والكرامة .

أحمد عطية الله

ماذا يجرى فى السودان ؟

تنبيه : أرجو القارىء أن يرجع بنفسه إلى سنة ١٩٤٣
عندما يقرأ ما فى هذه العجالة

تمهيـــد :

اننا فى أشد الحاجة الى تلقين أحوال السـودان وشئونه كجغرافيته واقتصادياته وتاريخه واجتماعياته لأبناء مصر من طلبة العلم وعامة الشعب ، مع أن أهل السودان يكاد الواحد منهم لاتخفى عليـه خافية من أمور مصر بحكم تطلعهم اليها وظمئهم الى الاغتراف من مناهلها ولايمان الأغلبية الساحقة منهم بضرورة وحدة وادى النيل ، وبينما لاينقطع سيل الزوار السودانيين لمصر طوال العام يندر أن يفكر مصرى فى زيارة السودان أو حتى فى قراءة الصحف السودانية لمعرفة أحواله ، مع مالذلك من أثر عظيم فى تقوية الروابط .

اننا رغم وجود عدد كبير من السودانيين بيننا ورغم وجود شخصيات كبيرة مخلصة لمصر بين من يزورنا منهم فاننا لانسعى لتعرف أحوال السودان منهم أو للدعاية لمصر بينهم باظهار عواطف الاخاء أو كرم الوفادة ، كما أننا لم ننتهز فرصة وجود عدد كبير من جنود قوة دفاع السودان بسبب الحرب فنكرمهم كما كرمنا غيرهم من الأجانب من جنود الحلفاء ، بل كنا فى غفلة حتى عن وجودهم بيننا مما يوجب الأسف . اننا لم نعن حتى بمجرد التعرف اليهم حتى كان العامة منا ينادون الواحد منهم بلقب رفيق أو

يحادثونه بالانجليزية ظنامنهم بأنه من الهنود مماترك أسوأ الأثر في نفوسهم عن جهل الشعب المصرى بهم ، أى بفريق من أبناء النيل ، مع أن امرهم لم يخف على عين فريق من المواطنين وبعض الهيئات والمؤسسات كالجمعية الزراعية وبنك مصر وغيرهما •

قابل هذا الجمود من جانبنا يقظة نمرنا لابتلاع السودان ، فقد وضع الانجليز خططهم لذلك منذ نحو قرن من الزمان وزودوا بها غوردون عند قيامه من لندن فى يناير سنة ١٨٨٢ ، من اخلاء السودان من المصريين ومن ارجاع ولاياته الى سلالة حكامه الأقدمين ، كفصل كردفان ودارفور ، وتنصيب المهدى سلطانا عليهما مع اقامة الزبير باشا حاكما على باقى السودان ، وقد حافظوا على تنفيذ هذه السياسة الى الآن بينمانحن نغط فى سبات عميق

لماذا يحرص الإنجليز على الاستيلاء على السودان ؟

أولا : للتحكم فى حياة مصر عن طريق التحكم فى مياه النيل ، فنحن حتى لو تحولنا الى الصناعة فان مالدينا من وقود لايكفى ، فلا بد لنا من استخراج القوى الكهربائية من مساقط الخزانات وهى فى ذلك خاضعة للتحكم فى مياه النيل ، وحتى لو نجحنا فى مشروع القطارة أو غيره لاستخدام القوى المائية فلا بد لنا من الخامات المحلية كالقطن ومن زراعة أراضينا الخصبة ، كما أنى لا أستبعد أن يكون من نتائج مؤتمر الصلح تقسيم العالم الى مناطق يختص كل منها بنوع معين من الانتاج ، نختص نحن بزراعة القطن والقمح وغيرهما من الحاصلات الزراعية ، وقد نمنع من الصناعة الى حد ما ، لكى تتخصص كل دولة أو منطقة بنوع من أنواع الانتاج •

ثانيا : السودان بلاد بكر غنية بتربتها الخصبة ومراعيها الواسعة ، كما أن
بها ثروة معدنية لا يستهان بها كالذهب وغيره ، فضلا عن حاصلات
الغابات وحيواناتها .

ثالثا : لمنع انتشار الاسلام الى ممتلكاتهم الافريقية جنوبا .

رابعا : للانتفاع بتجنيد أبناء جنوب السودان ، وليجعلوا من ضم هذا
الجنوب الى ما يجاوره من مستعمراتهم بلادا مسيحيه ، وجامعة
زنجية يستعينون بها على اخضاع الشماليين عند اللزوم .

خامسا : لأن وحدة وادى النيل تحمل منه قوة هائلة تقع على طريق
الامبراطورية ، كما يصبح وادى النيل السلسلة الفقرية للبلاد
العربية والاسلامية الممتدة من المحيط الأطلنطى غربا الى الملايو
والصين شرقا ، ومن شمال البحر الأبيض المتوسط وآسيا
الوسطى شمالا الى جنوب أفريقيا وجزر الهند الشرقية جنوبا .

سادسا : لأهمية السودان من الناحية الاستراتيجيه ، (أولا) لسيطرته على

المواصلات الجوية والحربية خصوصا اذا ربط بالسكة الحديد
بجنوب أفريقيا ، (ثالثا) لأنه فى حد ذاته مركز عظيم للتجنيد
والتموين وغيرهما من الاعتبارات الحربية والتجارية .
البحر الاحمر ، (ثانيا) لأنه مع تقدم الطيران زادت أهميته في

سابعا : لمنع انتشار الشيوعية وغيرها من المذاهب التى قد تجىء الى مصر
من الشرق أو الشمال ، فلا تنتقل الى ممتلكاتهم فى الجنوب وفى
غرب أفريقيا .

ماذا يراد بالسودان ؟

تزداد ثروة السودان وسكانه باضطراد ، وسكانه من عنصر حربي شديد المراس ، فان وصل الى عنفوان قوته وثروته فلن يتركوه يصل الى أوج مجده وعزته ، فتنتشر هذه العدوى الى مستعمراتهم المحيطة به .وهم لكى يستطيعوا حكمه لابدلهم من تقسيمه الى ولايات خمس أو ست يبذرون بينهابذور الفتنة والبغضاءلاضعافه واخضاعه لحكمهم ، وقد يتذرعون بميثاق الاطلنطى الذى ينص على تقسيم العالم الى دويلات كل مجموعة منها تتألف من عناصر متجانسة متآلفة .

١ – فيضمون جنوب السودان الى أوغندة وكينياوغيرهما مما سلخوه من الامبراطورية المصرية العظيمة،ليؤلفوا من ذلك جامعة زنجيةمسيحية يحاربون بها العرب والاسلام ، وهذهأعمالهم فى جنوب السودان منذ استرجاعه سنة ١٨٩٨ الى الآن كلها تشهد بذلك .

٢ – وقد يسلخون شرق السودان (كسلا والبحر الأحمر) وسكانه هم قبائل البيجا Beja or Bega كالبشارين والهدندوه Hadandowa وبنى عامر وغيرهم ويضمون الى ذلك جزءا من الأريتريا وبعض أنحاء الحبشة مما يقطنه مسلمو هذين الاقليمين من قبائل مشابهة، كالبيجا فى الأريتريا والجالا (Gala) فى غرب الحبشة . وقد صرح بعض رجالهم المسئولون فعلا بما يشبه ذلك لبعض الزعماء من السودانيين ، فقال انهم سيضمون الى المديرية الشرقية أراضى السهل المنخفض من الاريتريا الذى يسميه الايطاليون (Basso Piano) وربما ضموا اليها اقليم الدناقل (Danakala) الذى يمتد على ساحل



بمنزل اليوزباشي محمد نجيب سنة ١٩٣٦ (زيارة السيد محمد عثمان الميرغني والسيد الصديق المهدي) ومعهم أعضاء وفد السودان إلى انكلترا عند مرورهم بالقاهرة وهم من اليمين للشمال اللواء أحمد رجب فالسادة : الدرديري محمد والسيد الصديق المهدي فالدرديري محمد عثمان فالسيد محمد ميرغني حمزة فالسيد عبد الماجد أحمد

البحر الأحمر من حدود السودان الى ميناء عصب ، ومن الأسباب التى يعللون بها ذلك وضع القبائل التى تقيم على الحدود تحت ادارة واحدة لمنع الشقاق بينها .

٣ ، ٤ ـ وقد يفصلون كردفان ودارفور على أن يولوا على الأولى السيد محمد على التوم ناظر قبائل الكبابيش وعلى الثانية ابراهيم موسى مادبو زعيم قبائل الرزيقات .

٥ ـ كما يولون على باقى السودان الممتد على النيل من حدود مصر الجنوبية الى الجبلين (خطعرض ١٢° شمالا) زعيما آخر أو يقسمون هذا الجزء من شمال دنقلا الى حدود مصر فيجعلون منه ولاية أخرى للنوبة . فيصبح السودان مقسما الى خمسة أو ستة أقسام يؤلفون منها اتحادا تحت اشرافهم وسلطتهم وبذلك يصبح السودان هندا ثانية .

بماذا يجابهنا الإنجليز بعد الحرب ؟

أولا : بميثاق الأطلنطى وما حواه من حق تقرير المصير ، فتقول انجلترا انها متنازلة عما لها فى السودان تنفيذا لذلك ، فان تمسكنا بأن النيل وحدة لاتتجزأ قالوا باستفتاء السودان فى ذلك ، وما أدراك ما الاستفتاء فى بلد مقاليد أمورها بأيديهم ؟ وهم بعد ذلك لابد أن يتخذوا من تمسكنا نحن والسودانيون بحقوقنا وسيلة لايقاع البغضاء بيننا زاعمين بأنهم استخلصوا للسودان استقلاله منا وبالرغم عناء

ثانيا : سيقولون ان السودان ساهم معهم فى حرب الديموقراطية بمايقرب من مائة الف من الجنود المحاربين وغيرهم ، واذا فلا بد أن

يكافئوا السودان بالاستقلال الذاتى مؤقتا الى أن يدرك الاستقلال التام ، وان منحوه الاستقلال الذاتى الذى قالوا عنه (ان طريقه شاق وطويل) فلابد له اذا من وصى أو حليف قوى يعينه ، فمن هو ؟

هل سيكون هناك غير الانجليز من يصلح لهذه المهمة ؟

ثالثــا : سيقولون انهم لن يتركوا ثمرة عملهم على تقدم الســـودان ورفاهيته وادارتهم الحسنة من سنة ١٨٩٨ الى الان فينبذوه ليعود الى أحضان المصريين أصحاب الكتاب الأسود !!

رابعــا : سيقولون ان لهم ديونا على الســـودان ، وقد كان دين مصر الدولى ذريعة للاحتلال .

ما هى سياسة الاستعمار ؟

انهم لن يتركوا السودان سليما بعد آن دربوا أبناءه على وسائل الحرب الحديثة وهم الذين بلغ عدد ثوراتهم من سنة ١٨٩٨ الى سنة ١٩٢٤ أكثر من مائة وتسع ثورات أيام كان سلاحهم الرمح والسيف .

ان السودان ومساحته نحو المليون من الأميال المربعة وسكانه نحو التسعة ملايين كلهم من خيرة المحاربين شجاعة وبأسا ، ومن أفواههم ايمانا بحب الوطن ، وبه من الثروة الطبيعية مايجعل منه قوة هائلة ، اذا انضمت الى مصر جعلت من وادى النيل امبراطورية تفوق ماكانت عليه فى عهــد اسماعيل ، تقع على طريق الامبراطورية وتجاور مستعمراتهــم ، فكيف يسمح الانجليز بذلك ؟

أنه لابد لهم من فصل السودان عن مصر أولا ، ثم لابد لهم من تمزيقه ار. يجعلوا منه هندا ثانية ، ثم لابد بعد ذلك من ايقاع العداوة والبغضاء بين مصر والسودان بل وبين أجزاء السودان المختلفة. وليس أسهل عليهم من احداث الشقاق ، فهم أساطين مذهب « فرق تسد » الذين حرصوا ولايات الامبراطورية العثمانية على خليفة المسلمين .

ان هناك وسيلتين محتملتين . فاما أن يوعزوا للسودان بطلب أجر عن ماء النيل وصيانة خزاناته وتعويض عما تغرقه هذه الخزانات من أراضى السودان مما يحولها الى مستنقعات تضر بصحة الأهلين ليحدث الشقاق واما أن يغروا السودان بطلب ضم اقليم البشارين الواقع جنوب مصر الشرقى ضمن مايسمى بالحدود الادارية فيما يلي بئر الشلاتين جنوبا ، وبطلب ضم أراضى النوبة التى فى جنوب أسوان الى حدود السودان ، استنادا الى أن حدود مصر الجنوبية بموجب فرمان ١٣ فبراير سنة ١٨٤١ ، كانت تمتد من نقطة جمسة على البحر الأحمر مارة جنوب أسوان بقليل حتى تلاقى حدود مصر الغربية .

انه لرأى وجيه ومعقول، وسيبدو عادلا فى نظر السودانى الذى أصبح يطمح الى الاستقلال والمجد ، اذا فسيصبح هذا الجزء من الأراضى المصرية منطقة كالألزاس واللورين بين ألمانيا وفرنسا ، فهو وسيلتهم الثانية المحتملة .

وهناك من الاسباب كثير مما يستخدمونه للايقاع بين الأخوة الأخـوة ، كأن يقمعوا أى اضطراب فى مصر بواسطة جنود من السودانيين ، ونحو ذلك مما يترك أسوأ الاثر فى العلاقات بين ابناء وادى النيل.

هذا هو الوضع الدولى للسودان

بمقتضى معاهدة لندرة سنة ١٨٤٠ لم يسلخ السودان عن مصر ،وقد صدر فرمان ١٣ فبراير سنة ١٨٤١ تطبيقا لتلك المعاهدة مسندا لمحمد على باشا ولاية الاقاليم السودانية : سنار والنوبة وكردفان ودارفور ، وبذلك زال كل شك فى وحدة مصر والسودان وتأيد ذلك بفرمان ٨ يونيوسنة١٨٧٣ الذى بين مدى سيادة الخديوية التى شملت مصر والســـودان وقائمقاميتى سواكن ومصوع • ثم صدر فرمان سنة ١٨٧٩ بتعيين الخديو توفيق باشا ونص فيه نصا واضحا على عدم جواز التنازل عن أى جزء من الأراضى المصرية ، وقد عملت انجلترا وفرنسا على سرعة اصدار هذا الفرمان ،فهو فى الواقع عمل دولى اشتركت فيه ثلاث دول عظمى ، فلا يجوز الخروج عليه لامن هذه الدول ولا من غيرها •

الثورة الأهلية فى الجنوب

بين سنة ١٨٨١ وسنة ١٨٩٢ قامت الثورة المهدية لمقاومة فساد الحكم التركى ، وهى فى نظر القانون الدولى ثورة أهلية ، فليس هناك اعتراف دولى بها لتغدو حالة حرب أو لتكون هناك حالة دولية ، والقرار الذى صـدر فى مصر سنة ١٨٨٤ باخـلاء الجنوب يعتبر قرارا باطلا لمخالفته للفرمانات الدولية تدل على ذلك استنقالة المرحوم شريف باشا •

وليست الحملة التى جردت لمقاومة المهدية عملية فتح أو أن هناك حقوقا مترتبة عليها لأن الفتح هو اخضاع أقليم الغير ، يؤيد هذا حادثة فاشودة•

أما اتفاق يناير سنة ١٨٩٩ بين مصر وانجـــلترا فانه اتفاق باطل لأن مصر لاتملك وقتها الحق فى عقد معاهدات تتنازل بهـــا عن أى جزء من

أجزائها أو ادارته ، وكانت الدول تضمن المحافظة على أملاكها ، كما أن الاتفاقات الثنائية لاتؤثر فى المعاهدات العامة ، (فضلا عن أن مصر كانت وقتئذ تحتلها الجنود الانجليزية ويسيطر على ارادتها الانجليز ، فهى من الوجهة القانونية المحضة فاقدة الارادة) .

معاهدة لوزان سنة ١٩٢٣

تنازلت تركيا بناء على هذه المعاهدة عن حقوقها فى مصر فأصبحت دولة وادى النيل مستقلة استقلالا داخليا وخارجيا .

معاهدة سنة ١٩٣٦

لم تصحح هذه المعاهدة اتفاقية سنة ١٨٩٩ ، وان ماجاء فى المادة ١١من معاهدة سنة ١٩٣٦ نص متعلق بالادارة ومشتق من اتفاقية باطلة وجاء النص محتفظا بالسيادة لصاحب الاصل وهو وادى النيل ، خصوصا وان النص يوضح الرغبة فى عقد اتفاقية جديدة فى أى وقت محتفظا بمسألة السيادة . فالسيادة فى السودان هى السيادة الاصلية المشتقةمن اتفاقية لندرة وفرمان سنة ١٨٤١ .

التيارات السياسية المختلفة فى السودان

يؤمن السودانيون بحق تقرير المصير كغيرهم ، وهم يقولون بأنهم لايقلون شأنا عن الحجاز أو اليمن ، ولكن أخشى مايخشاه السودانيون جميعا من انفصالهم عن مصر هو فصل جنوب السودان عن شماله مع أن الجنوب مصدر ثروتهم الطبيعية ، وبه مجرى النيل الأعلى . كما أنهم يقدرون فائدة الاتحاد مع مصر والاستفادة بكفاحها الطويل .

ولقد تجلىّ شعورهم نحو مصر فى موقفهم المشرف فى سنة ١٩٢٤ حيث بذلوا دماءهم رخيصة فى سبيل الانضمام اليها •

ولقد قوى هذه الروح ما أعقب حوادث سنة ١٩٢٤ من تغيير وتبديل فى نظام الحكم فى السودان وادارته كتخفيض كادر الموظفين ، ومستوى التعليم واستئثار صغار الموظفين البريطانيين بالوظائف التى خلت بطرد المصريين ، وغير ذلك مما لاقاه أبناؤهم فى سبيل مصر فجعلهم ذلك يعزون كل ماحصل الى انفراد الانجليز بهم • كما زاد من نماء عواطف الاخاء بين أبناء النيل، فى وقت كان فيه خريجو المعاهد العلمية بالسودان قد بدأوا يتطلعون الى الوظائف المختلفة فى حكومة السودان ، فلو بقى المصريون حقبة أخرى من الزمن لوجد السودانيين من المصريين منافسا لهم فى تلك الوظائف مع قلة شأنها ، ولانتفع المستعمرون من ذلك أيما انتفاع ولكن وقتنا العناية الالهية شر تلك المنافسة ، وجعلت من طردنا سببا فى تفتح أعين أخواننا السودانيين • « عسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لاتعلمون » •

الزعامات الدينية والقبلية

يصعب جدا تحديد الاتجاهات السياسية السودانية فى الوقت الحاضر، فلا بد لذلك من دراسة جملة اعتبارات تسهل على القارىء مهمته ، فمثلا لم يكن بالسودان رأى عام بالمعنى الصحيح قبل سنة ١٩٢٤ وهو لم يتحدد بعد تماما ، ولايخلو مما تحاول السياسة الاستعمارية أن تلصقه به من صبغة مغايرة للحقيقة • كما أنه يجب النظر الى السياسة التى جرت عليها حكومة السودان لخلق رأى عام يناصرها ، والى الزعامات المختلفة فى السودان ،

والى طبقة المثقفين وأثرهم فى توجيه الرأى العام ، والى ما يتطلع اليه نفر قليل منهم من شغل الوظائف العليا واصطباغ بعض هؤلاء الأخيرين بالصبغة التى أرادها لهم المستعمرون ليسخروهم فى تنفيذ سياستهم ، يضاف الى ذلك أن حرية الرأى غير مكفولة بالسودان ، فالسودان منذ استرجاعه تحت الاحكام العرفيــة الى الآن ، والصحافة مقيدة ووسائل النشر والاذاعة فى أيدى المستعمرين يسخرونها لتنفيذ مآربهم ، فلا بد لنشر الآراء الحزبية من تمويهها قليلا حتى يستطاع شرها . وأخيرا يجب النظر الى تأثر السودانيين بكل ما يجرى فى مصر ، وبالتطورات العالمية وغير ذلك .

فلنبحث الآن أهم هذه الاعتبارات لنصل الى رأى قريب من الصحة :ـ

(ا) أن وجد قبل سنة ١٩٢٤ ما يصح أن يعتبر رأيا عاما ، فقد كان ذلك هو تأثر السودانيين عموما بنفوذ الزعامات الدينية والقبلية . وقد كان معظم الزعماء يتمنى التخلص من حكم الأجنبى ، لكنهم لا يستطيعون الجهر بآرائهم ، وأخيرا ظهر اتجاه السودانيين جليا نحو مصر وتعلقهم بها فى حوادث سنة ١٩٢٤ ، وقد زاد هذا التعلق بمصر بعد سنة ١٩٢٤ بحسب ما أسلفنا ، ولا يخفى تأثرهم بالحركة السياسية فى مصر .

(ب) بعد سنة ١٩٢٤ أصبحت سياسة الانجليز فى السودان سافرة ، فعملوا على أن يكونوا رأيا عاما يناصرهم فاستعانوا على ذلك :

أولا : بالصحافة وطرائق التربية فى المدارس وايفاد المدرسين وغيرهم الى انجلترا ، وقربوا اليهم كل من أنسوا فيه امكان ضمه الى

جانبهم ورفعوه ليقتدى به غيرهم ، وهى نفس سياستهم التى جروا عليها من قبل مع بعض التعديلات ، كالاختلاط بالسودانيين والتودد اليهـم .

ثانيا ـ عملوا على تقوية الزعامات القائمة وقتئذ ، وعلى خلق زعامات محلية جديدة ، واستعانوا على تقوية نفوذ هؤلاء الزعماء الجدد وزيادة ثرائهم بما أنشأوه من المحاكم القروية والقبلية التى يتمتع فيها هؤلاء الزعماء بسلطة قضائية واسعة وبالحق فى الاستيلاء على الرسوم القضائية ، فأرضت الحكومة مطامعهم على حساب الأهلين لتستميل اليها الرأى العام بواسطة هؤلاء الزعماء .

والزعامة فى السودان اما دينية أو قبلية أو محلية . فالزعامة الدينية تتألف من حزبين كبيرين هما حزب الختمية أتباع السيد على الميرغنى ، وهو السائد فى جميع أنحاء السودان . وحزب الأنصار أتباع السيد عبد الرحمن المهدى ، وهم أيضا أكثرية توجد فى جميع الجهات . وبجانب هذين الحزبين حزب ثالث صغير يتألف من أتباع المرحوم الشريف يوسف الهندى .

وليس لهذه الأحزاب الثلاثة أثر تقريبا فى الرأى العام سياسيا ، ففى الحزب الواحد منها أعضاء من كل مذهب من المذاهب السياسية ، لكن يخضع كل حزب لزعيمه الدينى خضوعا تاما ويتأثر برأى زعيمه . ولهذا يحاول المستعمرون استغلال الأحزاب بالايحاء الى الزعماء بما يريدون ، ولهذا يرفعون هذا الزعيم تارة ، ويخفضون ذاك أخرى ، بحسب الظروف . كما ينتفعون من المنافسة بين الزعماء لتنفيذ مآربهم السياسية وغيرها

أما الزعامات القبلية والمحلية فقد عمل الانجليز على تقوية نفوذ رؤسائها من نظار القبائل ومن العمد والمشايخ ، كما عملوا على اجتذابهم اليهم ليستعينوا بهم على كبت الشعور العام نحو المصريين ويستبدلوه بشعور نحوهم مستعينين فى ذلك بزيادة نفوذ الزعماء وثرواتهم وبانماء شعور المنافسة بينهم . . . . الخ . لكن مع كل هذا بقى أثر معظم هؤلاء الزعماء فى توجيه الرأى العام محدودا ، بل ربما كان أثرهم عكس ما كان يؤمله المستعمرون ، ذلك لأن ما حاق بالأهلين من ظلم على أيدى الكثيرين من هؤلاء الزعماء الذين يتولون القضاء المحلى، نفر السودانيين من حكم المستعمرين وجعلهم يترحمون على عهد المصريين ، كما حقدت طائفة المثقفين على هذا النظام الذى حرمهم من وظائفه من جهة ، كما أخضعهم لقضاء هؤلاء الزعماء من جهة أخرى .

. عمل الانجليز على استثمار طبقة المثقفين ومعظمها من الموظفين ، وهى الطبقة التى لا تنضوى تحت لواء الزعماء ، فشجعوا أو ساعدوا على انشاء مؤتمر الخريجين ليكون بمثابة نطاق محكم حول جميع المثقفين وأداة لتنفذ مآربهم . لكن لحسن الحظ كانت السياسة التى سلكها الانجليز بما فيها من استغلال لبعض الزعماء بايفادهم فى البعوث الى لندن فى كثير من المناسبات مما يوهم أو يشعر بولاء السودانيين للبريطانيين ، ومن عبث واستخفاف بالرأى العام باصطناع عرائض الثقة ومن تأليف سفر الولاء للتاج البريطانى . . الخ .

. كل هذا كان سببا فى تفتح أعين السودانيين الى الخطر المحيق بهم فانقلب مؤتمر الخريجين لى بوء ة لرأى العام ودعة لتسييره فى الاتجاهات

النافعة ، متدرجاً من المطالبة باصلاح كادر الموظفين والتعليم الى المسائل الاجتماعية والوطنية ، والى المطالبة أخيرا بحق تقرير المصير .

هال الانجليز نجاح المؤتمر فى توجيه الرأى العام ، وما قام به من مشروعات اجتماعية ووطنية نافعة ، فضلا عن سهره ويقظته ازاء سياسة الحكومة وخلوه من شوائب الحزبية .وكانت روح المؤتمر وما زالت تزمى الى الاتحاد مع مصر أو الاندماج فيها . فماذا يعملون ؟

أخذوا أولا يثيرون حول المؤتمر عاصفة من الاشاعات المريبة ليزعزعوا ثقة المواطنين به من سودانيين ومصريين ، كما عملوا على اجتذاب بعض أعضائه اليهم ، فلما لم يجدهم ذلك ، عملوا على ادخال التفرقة الى صفوفه عن طريق الحزبية السياسية .

ظهرت الجماعات الحزبية فى المؤتمر على أثر مقال موعز به نشرته مجلة السودان الجديد التى تصدر فى السودان ، قسمت فيه الناس الى مدارس أربع أو خمس لم تذكر من بينها رأيا واحدا يقول باتحاد مصر والسودان أو بوحدتهما .

وقد ربط الناس بين هذه الدعوة وبين الحركات الظاهرة فى ذلك الحين كتحركات بعض الزعماء وحركة المجلس الاستشارى لشمال السودان ومجالس المديريات وغيرها ، ووصلوا الى أن الحكومة قد يكون فى نيتها التمهيد لفصل السودان عن مصر وهو ما تسميه بالحكم الذاتى أو الاستقلال التام .

الآراء السياسية المختلفة

يمكننا بعد استعراض الاعتبارات السالفة ، أن نقسم الاتجاهات السياسية الحالية فى السودان الى خمسة آراء تعمل كل منها تحت راية المؤتمر ماعدا

الخامس وهو أقلها أهمية ، ولو أن هذه الآراء ما زالت غير واضحة المعالم ولم تحدد أهدافها تماما ، بسبب الحيرة وعدم نضج الرأى العام وحاجته الى تفهم روح القانون الدولى والقواعد الأساسية الدستورية ، كما أن ليد المستعمرين أثرا بعيدا فى هذه الحيرة وفى التأثير عليها . وهذه الآراء مرتبة بحسب أهميتها هى :ــ

١ ـ رأى حزب الأشقاء :

وهو الاندماج فى مصر بلا شرط ولا قيد ، وأصحابه هم الأغلبية ممن يعملون تحت راية المؤتمر ، (لكن يرميهم خصومهم بأنهم أصحاب أقل الآراء وضوحا ، وبأن سياستهم هى كسب الأنصار ، فهم يتقدمون لكل شخص بالمبادىء التى يريدها ، اذ المهم عندهم دائما هو كسب المعركة فى الانتخابات ولذلك قد غيروا مبادئهم الى نفس المبادىء التى ينادى بها حزب الاتحاد والتى سنذكرها فيما يلى) .

لكن بالرغم مما يرميهم به خصومهم أعتقد أنهم يرمون الى نظام هو أقرب ما يكون الى الاندماج فى مصر ، كما أعتقد أنه لولا ما يخشاه بعض السودانيين من ضياع القوميــة السودانيــة وتلاشيها فى مصر ، ولولا خشيتها من أن لا يمثلوا فى البرلمــان تمثيلا يجعل لرأيهم وزنا نظرا لقلة عدد السكان فى السودان عنه فى مصر ، لولا ذلك لكان هــذا الرأى هو رأى جميع السودانيين تقريبا .

٢ ـ رأى الاتحاديين :

هو (تاج واحد • وجيش واحد • وتمثيل خارجى واحد ، وحكومة سودانيه محلية) وتدعو هذه الجماعة الى قيام اتحاد بين مصر والسودان

فورا أو بعد انتهاء الحرب مباشرة . فهم يريدون فى الواقع حكومة تعاهدية ، وان كانوا قد مثلوا لعلاقة مصر والسودان خطأ بما بين انجلترا وكندا واستراليا أى الدومينيون ، مما يدل على حاجتهم الى دراسة النظم الدستورية . ومن أهم أغراضهم ابعاد الدخيل أولا .

٣ ـ رأى الأحرار :

هو رأى الاتحاديين بذاته ، والفارق الوحيد بينهما أنهم يقولون بحفظ الحدود الحالية للسودان بينما يتطلع الاتحاديون الى استرداد حـــدود السودان الأصلية ، التى كانت تشمل بعض مناطق الحبشة والاريتريا وأوغندا وغيرها .

٤ ـ رأى القوميين :

وهم جماعة تألفت أخيرا ، وأنصار هذا الرأى أفراد معدودون يخشون على مراكز نالوها ، ومع أنهم جمعوا بين أنصار الحكومة وأنصار الحكم الذاتى وأنصار الاستقلال التام فهم لا يعلنون عداء لمصر ، ولا يجرأون على دعوة انفصالية سافرة ومبادئهم هى ،

الغاءاتفاقية سنة١٨٩٩ ، ويشترك معهم فىهذا الأحزاب سالفةالذكر .

الدخول بعد فترة معينة فى اتحاد مع مصر وحلف مع بريطانيا .

٥ ـ رأى أنصار الاستقلال التام :

يعتقد السودانيون أن الاستقلال التام على أيدى الانجليز ضرب من الوهم أو الخيال يخشى الكثيرون ما قد يتلوه من احتكاك بين الأحزاب

الدينية وغيرها ، وبين القبائل وبعضها ، ولولا ذلك لكان هو رأى الجميع بشرط الدخول مع مصر فى تحالف أو رابطة كالرابطة العربية •

لهذا فلا يقول به الا نفر قليل جدا ، ومعظم من يجهرون به أفراد من القوميين أو من صنائع المستعمرين يوحى اليهم بطلبه تمهيدا لفصل السودان عن مصر ، وليس من أجل الاستقلال التام لذاته •

وأخيرا أقول ان كل ما أسلفت ذكره خاص بشمال السودان • ولم أتعرض لسكان الجنوب لعدم معرفة مايجرى فيه الآن على وجه التحقيق ، ولكن المعروف أنه لا يوجد بينهم رأى عام ، بل تخضع كل قبيلة من قبائله لسلطة رئيسها الذى غالبا ما يحقد على سلب استقلاله ، ولكنه لا يستطيع أن يبوح بما فى نفسه أمام القوة القاهرة • وان نزعة أهل الجنوب جميعا ترمى الآن الى الاستقلال لانفراد الانجليز بحكمهم ؛ لكن لو أبيح اختلاط سكان شمال السودان أو المصريين بهم ورفعت القيود التى وضعها المستعمر فى ذلك لانقلبوا محبذين للاتحاد بمصر • وربما لو أتيح للاسلام ما أتيح للمسيحية من انتشار فى جنوب السودان ، لوحد الاسلام صفوفهم ، ولأصبح لهؤلاء القوم رأى عام هو غالبا الاتجاه نحو مصر قياسا على أهل شمال السودان • لكن لا بد أن يصبح لانتشار الارساليات التبشيرية المسيحية فى الجنوب أثرها فى جعل أهله أقرب الى الخنوع والاستسلام للبريطانيين ، وهى ارساليات تعمل لتحقيق سياسة الاستعمار أكثر من تبشيرها بالدين ، هذا الخنوع الذى يتحقق تحت ستار المسيحية أو تحت نفوذ الزعماء هناك بعد استمالتهم بسياستهم المعروفة ، ولو أنهم الى الآن يتطلعون الى الشمال • فعلينا أن نتدارك ذلك من الآن اما بالسعى لازالة قانون المناطق المقفلة أو على الأقل بارسال بعثات

البشرية اسلامية ، أو بمساعدة من هناك من العرب والزنوج المسلمين بما يمدهم من حرية الاختلاط بهم وتنويرهم (*)

ماذا يأخذه علينا إخواننا السودانيون ؟

يعتب علينا اخواننا السودانيون لأخطاء نقع في بعضها بحسن نية وفي البعض اهمالا ، وهم اناغتفروا الأولى فانهم يتالمون من الثانية خصوصا فيما يتعلق بحقوق المواطنين أو بالمسائل الوطنية ، وتدخل فى ذلك الظاهرة النفسية التى تجسم الاخطاء ان وقعت من شخص تربطنا به القرابة أو الوطنية لاسيما ونحن فى وقت يوجب الانتباه لكل صغيرة وكبيرة .

(*) ملاحظة دونت سنة ١٩٤٨ عندما اعيد طبع هذه العجالة :

الآن وقد مضى على وضع هذه العجالة أكثر من خمس سنوات نجد أن تطورات عديدة قد حدثت منذ ذلك التاريخ . فقد ظهرت أحزاب جديدة كالحزب الجمهورى ، وزالت احزاب أخرى . كما اندمجت بعض الاحزاب فى غيرها تبعا لتقارب وجهات النظر ، وأصبحت الاحزب معسكرين : احدهما معسكر أنصار وحدة وادى النيل يتزعمه حزب الأشقاء وينادى بوحدة التاج والجيش والسياسة الخارجية مع قيام حكومة سودانية محلية أى على أساس الاستقلال الداخلى للسودان . والمعسكر الآخر هو معسكر الانفصاليين وعلى رأسهم حزب الأمة ، ويؤيد الفريق الاول من الأحزاب الدينية حزب الختمية او الميرغنية وهو حزب حضرة صاحب السيادة السيد على الميرغنى باشا ، كما يؤيد الفريق الثانى حزب الأنصار وعلى رأسهم حضرة صاحب السيادة السيد عبد الرحمن المهدى باشا كما قامت الجمعية التشريعية على أنقاض المجلس الاستشارى لشمال السودان وبدأت حركة العمال فى الظهور والاشتداد ولا يبعد أن ينشا حزب للعمال قريبا فى السودان .

أما عن جنوب السودان فقد ظهر بوضوح تقارب وجهة النظر بين اهله وبين اخوانهم أهل شمال السودان وخصوصا بين المتعلمين الذين قد انتخب منهم اعضاء بالجمعيه التشريعة الآن يمثلون أهالى الجنوب . وينادى هؤلاء الاعضاء بضرورة الوحدة بين شمال السودان وجنوبه وقد كان لهذا اثره من حيث ان حكومة السودان قد قدرت اهمية هذا الرأى ويلوح لى أنها اخذت به فالغت الآن كثيرا من القيود التى وضعتها سابقا لمنع الشماليين والجنوبيين من الاتصال بعضهم ببعض وهى المعروفه بقوانين المناطق المقفله .

وسأذكر فيما يلي بعض هذه الأخطاء على سبيل المثال :ـ

أولا ـ قبل كل شيء يأخذون علينا جهلنا بأمور السودان ، من لغة ودين ومدنية وجغرافية وتاريخ واجتماع الى آخره ، مستشهدين بأمثلة يخجل الانسان منها فى كثير من الأحيان ، بينما يعرف السودانيون أننا ملمون بالكثير من شئون البلاد العربية الأخرى ، بل نعرف عن أوروبا وأمريكا أكثر مما نعرف عن السودان .

وانى أعتقد أن من أهم أسباب هذا الجهل ، النقص الفاضح فى مناهج التعليم عن جغرافيه السودان وتاريخه وأحواله ، يضاف الى ذلك اهمال صحافتنا لهذه النواحى . كما أن منها احجامنا عن زيارة السودان الا نادرا ، وحتى من يزوره منا ، يعود فلا يتحدث عنه الا غرارا ، أو يقصر حديثه على التافه من أموره ، ولايتعرض لوصف البلاد أو الكتابة عنها ، ومن ذلك أن اخواننا النوبيين منتشرون بيننا فى مصر ولهم رطانات خاصة ، فيظن المصريون أن جميع سكان السودان هم من هؤلاء المواطنين .

ومن الأسباب المهمة تلك السياسة الخاطئة التى جرت عليها مصر والتى مازالت آثارها باقية الى الآن ، من نفى كل مغضوب عليه الى الصعيد أو الى السودان ، فلايتحدث هؤلاء المنفيون اذا عادوا الا عما لاقوا من متاعب ومشاق ، فيبالغون فى تصوير السودان وما يزعمون فيه من أهوال ، خصوصا وأن المواصلات فى القرن الماضى كانت صعبة وبدائية ، وكثيرا ماكان أمثال هؤلاء لايعودون الى مصر ، اما لأن عودتهم كانت غير مرغوب فيها ،

وامالان بعض المصريين كانوا يستطيبون العيش فى ربوع السودان فيستوطنونه ولا يعودون منه ، فيظن ذووهم انهم هلكوا هناك •
ولا يفوتنا أن نذكر ماكان يتركه هؤلاء المبعدون فى السودان من أسوأ الذكريات بين السودانيين •

ثانيا — يعتب علينا السودانيون عدم اكتراثنا لمن يزور مصر من أبنائهم ؟ ومنهم كثيرون من الشخصيات البارزة والزعماء ، فيأتون الى مصر ويعودون منها دون أن يشعر بوجودهم أحد •

ثالثا — يأخذون علينا أننا لاندقق فى اختيار من نرسله اليهم من الموظفين وغيرهم ممن يعتبرون انفسهم أجانب عن السودان ، فلا يعاملونهم الا بالصلف والكبرياء ، ولا يختلطون بهم أو يشاركونهم فيما يشارك فيه المواطن مواطنه ، بينما يشاركهم الانجليز في شتى المناسبات مما كان أولى بالمصريين •

رابعا — يأخذون علينا ضعفنا وتراجعنا أمام كل خطوة يخطوها الانجليز في سبيل فصل السودان عن مصر ، بل وفى كل مايتعلق بالسودان ، بل ويتهموننا بأننا كثيرا مانجامل الآخرين على حسابهم ، فاذا أردنا انشاء مؤسسة علمية أو صحية بالسودان مثلا وأقام الانجليز العراقيل أو أظهروا عدم الارتياح ، تقهقرنا لأول اشارة يظهرون بها عدم الرضا •

وهم يعيبون علينا عدم رسم سياسة معينة ثابتة نسير عليها في أمور السودان ، مع أن للانجليز سياسه مرسومه من القرن الماضى لم يحيدوا عنها قيد أنملة •

خامسا ـ يأخذون علينا اهمال الكثيرين من ابنائهم ممن ضحوا فى سبيل وحدة وادى النيل ، وكانت نتيجة ذلك أننا أصبحنا نعير فى السودان باهمال العاملين وبنكران الجميل حتى من أصدق أصدقائنا هناك (١)

سادسا ـ يقولون بأننا لانستفيد من أبنائهم الذين يتهافتون على تلقى العلم في معاهدنا ، فنتعهدهم بما يجعل منهم رجالا ينفعون مصر والسودان ، بل نهملهم حتى من ناحية الرقابة على الأخلاق أحيانا ، ويخشون أن يصبح ذلك سببا فى احجام السودانيين عن ارسال أبنائهم الى معاهدنا ، وهو مايعمل له المستعمرون جاهدين ، وأغلب الظن أنهم المروجون لهذه الفكرة لما وجدوا من اقبال السودانيين على معاهدنا العلمية ، رغم مايلقاه خريجوها من العراقيل فى مختلف المصالح الحكومية وغيرها بالسودان ، من منع توظفهم هناك أومنعهم الاقامة بالسودان أحيانا (٢)

سابعا ـ يأخذون علينا فساد الحكم الذى فشا أخيرا مما يعيرنا به الانجليز أمام اخواننا السودانيين ، فقد وزع الانجليز الكتاب الأسود على

---

(١) حدث اخيرا ان توفى المجاهد السودانى العظيم الملازم أول على أفندى عبد اللطيف رئيس جمعية اللواء الأبيض وزعيم وحدة وادى النيل بالسودان وكانت وفاته بالقاهرة فى شهر نوفمبر سنة ١٩٤٨ ولم يكن فى جنازته من المشيعين سوى نفر يعد على الأصابع وسبب ذلك فى الغالب هو الجهل والاهمال وعدم التنبيه الى كيد المستعمرين . فقد أبلغت ادارة المستشفى الذى توفى به خبر الوفاة الى جهة غير مختصة وبذلك تأخر ابلاغه الى وزارة الدفاع فلم يمكن اتخاذ الاجراءات الواجبة وفاتنا أن نتنبه الى ضرورة تحنيط الجثة وتأجيل تشييعها حتى تشيع بما يليق بعظمة صاحبها ، ذلك الجندى الباسل والبطل العظيم الذى كان اول من جاهر بالنداء بوحدة وادى النيل من السودانيين ، فلم يسر فى جنازته سوى تسعة عشر شخصا فقط .

(٢) لقد زال هذا العيب بفضل يقظة وزارة المعارف واهتمامها المستمر بشئون الطلبة السودانيين نتيجة لاتصال بعض المخلصين من المصريين والسودانيين .

كلّ زعيم من زعماء السودان بل وعلى كل المتعلمين ، فهو متداول ومنتشر فى السـودان .

ثامنا — يلوموننا على اهمالنا ربط مصر والسودان بالمواصلات السريعة كالسكة الحديد من الشلال الى حلفا مع تخفيض الاجور .
ويعجبون من عدم تحسين الاذاعة اللاسلكية الى السودان ، ومن عدم القاء المحاضرات واصدار الكتب والنشرات لتنوير الاذهان في مصر عنه . ومع أن لمصر مكاتب للسياحة فى باريس ولنـدن وغيرهما من العواصم الاوربية ، فليس لها مكتب واحد للدعاية لها فى السودان ، او هيئة واحدة فى مصر لتنوير الاذهان عن شئونه .

وأخيرا يشكون مر الشكوى من حاجتهم الى المكتبات العامة والى المستشفيات ، ومصر لاتحرك ساكنا فى هذا المضمار (٢)

بعض ما نأخذه على إخواننا السودانيين

حرصاً على شعور اخوانى السودانيين استخلصت هذه الانتقادات من أخ سودانى من العاملين لقصة وادى النيل وهى :—

١ — يتسرع بعض أخواننا السودانيين فى الحكم على أمورنا من مجرد ظواهرها ويغالون أحيانا فى المواخذة ، ناسين أننا مثلهم مغلوب على امرنا ،

---

(١) لقد زال معظم هذه العيوب أو هى آخذة سبيلها الى الزوال بفضل السياسة الوطنية التى اتبعت اخيرا نتيجة لتفتح الوعى القومى فى شطرى وادى النيل .

وآن بيننا على الأقل كثيرين ممن يعرفون مواطن الضعف فيعملون على تلافيها بقدر ما تسمح به الظروف •

مثال ذلك اهتمام المصريين باظهار ما تكنه نفوسهم نحو آخوانهم السودانيين كلما سنحت الفرصة ، كذلك المساعدات العديدة التى تسديها مختلف الوزارات كالمعارف والدفاع والتجارة والتموين وغيرها من الهيئات المصرية الأخرى كالغرف التجارية وبنك مصر من الحاق اخواننا السودانيين فى الوظائف المختلفة ومن قبول الطلبة بالمجان وقبولهم ضباطا وجنودا بالجيش المصرى ، ومن اسداء كل مساعدة ممكنة للسودانيين من موظفين وتجار وغيرهم •

هذا هو شأن الكثيرين من رجال مصر العاملين كالوزراء وكبار الموظفين وغيرهم فللسودانيين عندهم مكانة خاصة وتقدير • وعلى راس كل هؤلاء حضرة صاحب السمو الأمير الجليل عمر طوسون الذي لا تخفى عليه خافية من آمور السودان والذى يشمل كل سودانى بعطفه الخاص ورعايته دون نظر الى ميولهم السياسية ، فما بيت السودان أو تكريم أبنائه السودانيين ببعيد •

٢ ـ ناخذ على بعض اخواننا السودانيين وهم نفر قليل جدا ، يجرى هذا النفر وراء مصلحته الذاتية ناسيا أن عليه واجبا نحو وادى النيل ووحدته ، كما أن بعض هؤلاء اذا لم تتحقق رغبته صب جام غضبه على مصر والمصريين فلا يذكر لهم سوى المساوىء مما يعد دعاية سنه ضد وحدة وادى النيل رغم أنه لا قيمة لرأى هؤلاء بين من يعرفهم من اخواننا السودانيين ، وكثيرا ما يكون بين هؤلاء الناقمين ماجورون موعز اليهم بالدعاية ضد مصر •

٣ ـ يعتقد قليلون من أخواننا من طلاب الوظائف وغيرها أذا لم يفز الواحد منهم ببغيته أن السبب هو مجرد كونه سودانيا ، بينما يكون السبب عدم توفر المؤهلات مثلا ، مما لا شـــأن له يكون الطالب سودانيا أم مصريا • وكان الواجب قبل كل شيء أن يعتقد هؤلاء بأن لا فارق بين سـوداني ومصرى بل ان الجميع فى الحقـوق والواجبات ســـــواء •

٤ ـ يبنى اخواننا السودانيين حكمهم على أخلاق المصريين فى الغالب على أساس خاطيء بحكم اقامهم فى العواصم الكبيرة ، وعـــدم اختلاطهم بصميم المصريين فى الأرياف حيث توجد البيئة المشابهة لبيئة السودانيين فى الأخلاق والعادات،فيحكمون على جميع المصريين بما يصادفونه من نقائض المدن الكبيرة ، وكثيرا ما تصدر هـــــذه النقـائض عن أجنبى كل مـا فى الأمـر أنه يلبس الطربوش أو يتحدث بلهجة المصريين •

وعلى كل حال فكل ما ذكرت أو معظمه ، لايعلق عليه بالسوادن أو بمصر ، ولكنى أخشى أن يصبح دعاية خطرة ، وأرجو أن يزول جميع مايؤخذ على المصريين أو السودانيين ، وأن يعمل الجميع على آساس آنهم جميعا اخوة ، لا فارق بين (بحراوى) أو صعيدى او سودانى أو نوبى أو عربى من أبناء وادى النيل •

هذه بعض وسائل العلاج

لقد عمل الانجليز على فصل السودان عن مصر بكل ما آوتوا من حول ومن قوة من يوم أن وطئت أقدامهم وادى النيل ، وهم قد صحت

نيتهم على تنفيذ ذلك فى أسرع وقت . فها هم يعملون سافرين ويلوحون للسودان بالحكم الذاتى أو الاستقلال عن مصر ، وبالطبع لكل شعب فى الوجود أن يرحب بالاستقلال ، خصوصا اذا لم يجد من مصلحته التعلق بأهداب قطر شقيق ضعيف لا يعيره بالا ولا يوليه اهتماما ، ولقد وصلنا الى المرحلة الخطرة فلم يبق أمامنا سوى البحث عن علاج سريع حاسم .

ولا أرى علاجا أنجع من تطبيق ذلك المبدأ الذى يصرح به زعماؤنا مرارا وتكرارا ، من انه لافارق بين مصرى وسودانى ، بل أن للسودانى ما للمصرى من حقوق وعليه ماعليه من واجبات ، وهو علاج بسيط لايكلفنا سوى شىء من الحزم وصدق العزيمة ، فالبلاد من منبع النيل الى مصبه بلاد واحدة ، والى الآن لاتوجد جنسيتان متميزتان عن بعضهما احداهما مصرية والاخرى سودانية . (ولو أن فى رأس قائمة أعمال المجلس الاستشارى لشمال السودان مشروعا لفصل الجنسية السودانية سيصبح سيفا مصلتا على رأس كل سودانى يقول بوحدة وادى النيل حتى ولم تعترف مصر بهذه الجنسية المصطنعة) .

اذن فلنعط السودانيين حقوقهم فى وادى النيل أولا ، ثم لنطالبهم بعد ذلك بما عليهم من واجبات . لنعطهم حقوقهم داخل هذا الجزء من وادى النيل الممتد من البحر الأبيض المتوسط الى فرس وأدندان (مصر)، ولنتخذ لذلك نسبة من عدد السكان وهى الثلث .

بل فلنعطهم ولو جزءا من هذه النسبة فى عضوية البرلمان وفى غيره من مرافقنا كالوزارات والمصالح الحكومية ، فلنعطهم مؤقتا أى عدد يمثلهم فى البرلمان ولو ننتخبهم بطريق غير مباشر كانتخاب سودانيين ممن أصبحت

أقامتهم بمصر بصفة مستمرة (اذا خشينا تدخل الانجليز (١)) • ولنجعل من بين الوزراء واحدا أو اثنين من السودانيين ومن المديرين نحو ذلك وهكذا ولو نعتبر ذلك عربونا أو مثلا لتطبيق مبدأ المساواة فى الحقوق •

ولنعين فى وظائف الحكومة كل من تتوفر فيه الشروط من السودانيين المتخرجين من معاهدنا وهم الذين يحرم عليهم التوظف فى السودان، مما ميصبح سببا مهما فى أعراض السودانيين عن معاهدنا ، ولنكثر من انشاء المعاهد العلمية المصرية فى السودان ، ومثل ذلك المنشآت الصحية والاجتماعية الأخرى مما يحتاج اليه السودانيون أشد الاحتياج ، ولنشجع على التحاق أكبر عدد من أبنائهم بمعاهدنا العلمية ، ولنعمل على تحسين الاذاعة والمواصلات لربط مصر بالسودان أدبيا وماديا ، ولندرس أدق التفاصيل المتعلقة بالسودان ، ونغرس وحدة وادى النيل فى نفس كل طفل حتى تصبح عقيدة راسخة يقدسها الجميع ويعملون على تحقيقها •

بعد ذلك انظروا الى وادى النيل ، ولاحظوا أثر هذا الحل الذى قد ينبرى له البعض بالنقد ، فيقولون مثلا انه حل غير عملى أو انه سيعرضنا لتدخل الانجليز أو انه لن يؤثر على ما يجرى فى السودان •

لكن ردى عليهم أن جربوا هذا الحل عملا ، ثم أنظروا الى النتائج فيستبين لكم أن كل نقد ضده انما هو وليد الضعف ، وعدم الثقة بالنفس • وسيتضح لكم أنه الحل العملى الوحيد فى الوقت الحاضر • جربوه فان لم تنفع التجربة فلن نخسر شيئا • والا فليأت المعارضون بحل عملى آخر وسنكون له أول المتبعين •

---

(١) يمكننا أن نخصص بعض الدوائر لنواب سودانيين يتمتعون بالتزكية وانتخاب سودانيين فى مجلس الشيوخ •

اننا اذا عملنا بهذا الحل أو بما يشبهه فسنقضى هذا الحل على كل محاولة للتفرقة وسيصبح سلاحا ماضيا فى أيدى اخواننا السودانيين، يحاربون به تلك الفئة القليلة التى تجرى وراء ما يمنيها به الانجليز من وراء الانفصال عن مصر •

جربوا هذا الحل فان الانجليز لن يتصدوا له ، خوفا من اغضاب السودانيين على الأقل ، فان تصدوا فنحن الفائزون أيضا ، لان اخواننا فى الجنوب سيعرفون نوايانا ونواياهم ، وبذلك ينجلى الصبح لذى عينين (١)

أما اذا لم نجد من الشجاعة والحزم مانقوى به على تنفيذ هذا، فنصحتى لمصر أن تتنازل للسودانيين عن كل شىء لهافى السودان قبل أن يدعى الانجليز انهم استخلصوا للسودان حقوقه من مصر ، وقبل أن يدعوا أنهم خلعوا على السودان استقلاله بعد أن استخلصوه من أيدى المصريين (٢) باحداث بعض الشغب والاضطراب ويرجعون أسبابه الى المصريين (٣)

فالقوم قد وطنوا العزم على فصل السودان عن مصر فى أسرع وقت مستطاع ، وأنهم قد مهدوا لذلك واتخذوا له العدة، وقد يتذرعون لذلك باحداث بعض الشغب والاضطراب ويرجعون أسبابه الى المصريين (٢)

---

(١) يلاحظ أنه حدث بعد وضع هذه العجالة ان تقدم الاستاذ على البرير السودانى للانتخابات فى مصر وقد تدخل البريطانيون فعلا مما اضطره الى التنازل عن ترشيح نفسه لعضوية البرلمان المصرى •

(٢) يلاحظ ما يدعيه البريطانيون الآن من أنهم يعملون لتحرير السودان ويلاحظ استثمارهم هم وأنصارهم لعبارة السيادة المصرية وتحميلها غير معناها لاظهار المصريين فى نظر اخوانهم السودانيين بمظهر المستعمرين الذين يريدون استعبادهم •

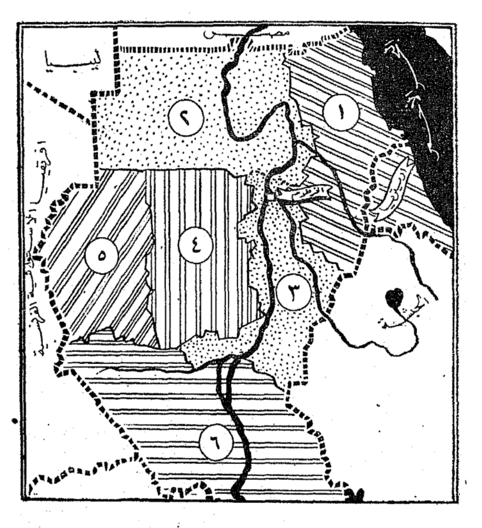
(٣) وقع فى سنة ١٩٤٤ اى بعد وضع هذه العجالة بسنة حادث سينما الكوليزيوم بالخرطوم الذى تحرش فيه البوليس السودانى بعد أن ارتدى الملابس المدنية بالجنود المصريين وكانت نتيجته اصرار حكومة السودان على محاكمة هؤلاء الجنود المصريين وضباطهم محليا بالسودان وعاقبتهم بالحبس حتى الضباط (مع ايقاف التنفيذ للضباط) وقد استثمرت الجرائد الموالية للمستعمرين هذا الحادث كما استغلت امثاله مرارا لافساد شعور السودانيين وأثارتهم على المصريين •

أو يوعزون لبعض المأجورين بالاحتكاك بمن فى السودان من المصريين(١) لخلق وسيلة للحقد عليهم والمناداة بطردهم من السودان ، فيقدمون على تنفيذ ما أرادوا من فصل وبتر ، كما حدث فى سنة ١٩٢٤ وفى سنة ١٨٨٤ من قبل والتاريخ معهم دواما يعيد نفسه ، وهم قد لا يمهلوننا الى نهاية الحرب كما تظنون ففى كل يوم يخطون خطوات واسعة فى هذا المضمار ، وفى كل يوم يظهر لنا دليل جديد على حركة الانفصال .

نصحت لهم أمرى بمنعرج اللوى

فلم يستبينوا الرشد الا ضحى الغد

(١) حدث فى سنة ١٩٤٦ أن اعتدى الانفصاليون على نادى الخريجين وعلى حزب الاشقاء ومزقوا بعض الصور الفوتوغرافية التى يثير عزيزها شعور المصريين والسودانيين من انصار وحدة وادى النيل ، كما حدث تهديد الانفصاليين للجنود المصريين ومناداتهم باجلائهم عن السودان فى أكتوبر سنة ١٩٤٦ وحاولوا مهاجمة ثكنات الجنود المصرين بقشلاق توفيق وقشلاق عباس بالخرطوم .



خريطة مشروع أعده الانكليز لتمزيق السودان
الى ولايات تجعل منه هندا ثانية

يد الاستعمار على حدود السودان

للبكباشي أ . ح . محمد نجيب

فى أوائل سنة ١٩٣٤ وقع نظرى على خريطة معلقة فى سفينة هولندية راسية بميناء الطور ـ كنت قد دعيت وبعض اخوانى الضباط لزيارتها ، فوجدت على هذه الخريطة السودان جميعه ملونا بلون المستعمرات البريطانية بما فى ذلك المناطق التى تعتبر بلا مواربة جزءا من الوطن السودانى فوجهت التفاتى لدراسة تاريخ هذه الحدود وحاولت على قدر استطاعتى أن أنبه أذهان المسؤولين الى ذلك ، والى هذا النوع من أنواع التملك الذى تلجأ اليه السياسة البريطانية ، وذلك بتلوين الاقاليم بلون مستعمراتها ونشر ذلك فى الخرائط العالمية حتى يصبح حقيقة واقعة • فقد لاحظت ذلك فى جملة مناسبات منها أننى وأنا تلميذ بالسنة الأولى الابتدائية سنة ١٩٠٨ كنت أرى مستعمرة عدن مبينة على الخرائط كنقطة مستديرة حمراء قاصرة على نفس الميناء فما أن وصلت الى السنة الثالثة حتى وجدت هذه النقطة قد خرج منها شريط أحمر أو محمر يمتد على الخريطة بضع سنتيمترات للشرق على ساحل حضرموت • فما أن أتمت الدراسة الابتدائية حتى رأيت هذا الخط قد امتد حتى وصل الى حدود ولاية عومان التى على ساحل الخليج الفارسى وأصبح يشمل المحميات السبع وغيرها •

ولا يفوتنى أن أذكر أن الانجليز قد تناولوا حدود مصر والسودان بكثير من التعديل والتغيير وقد بلغت بهم الجرأة أحيانا أن يتعاقد حاكم السودان مع احدى الدول الأجنبية بذكر صفة واحدة له وهى أنه بصفته ممثلا للدولة البريطانية دون أن يذكر شيئا عن نيابته عن مصر بصفته حاكما عاما للسودان ، ينوب على الدولتين •

وفي جميع هذه التعديلات لحدود السودان الشرقية والغربية والجنوبية على حساب الوطن السودانى والمصرى لا سيما بعد أن اتفقت كلمة دول الاستعمار الأوروبى فى أخريات القرن الماضى على تنسيق مناطق نفوذها فى أفريقيا • لم تكن بريطانيا تستهدف سوى تحقيق منافعها الاستعمارية•

ويمكن أن نجعل الاتفاقات التى تمت بين بريطانيا وهذه هى الدول الأوربية والتى انتهت باقتطاع مناطق عديدة من السودان فيما يلى :

١ ــ اتفاقية الكونغو الحرة عام ١٨٩٤

٢ ــ اقتطاع مقاطعة اللادو

٣ ــ اقتطاع بعض أجزاء الحدود الغربية وضمها الى فرنساعام ١٩١٩

٤ ــ التنازل عن منطقة المثلث الشمالى الغربى للسودان لايطالياعام ١٩٣٤

حدود السودان فى اتفاقية ١٨٩٩

كانت حدود السودان بموجب معاهدة سنة ١٨٩٩ كالآتى : ــ

يحد شمالا بخط عرض ٢٢° الشمالى وشرقا بالبحر الأحمر وحدود الاريتريا والحبشة الى تقاطع خط عرض ٥° شمال بخط الطول ٣٥° شرق جرينش وجنوبا بخط عرض ٥° الى اللادو ويتبع مجرى النيل الى منبعه من الطرف الشمالى ببحيرة البرت نيانزا عند ميناء مهاجى تقريبا • وغربا يبدأ الخط من تقاطع خط الحدود الشمالية بخط الطول الشرقى ١٩° تقريبا ثم من هناك الى الجنوب الشرقى حتى يكون مثلثا متساوى الساقين شمال دارفور

ثم يسير الخط فى أقواس كبيرة الى أن يتصل فى جنوب دارفور بخط تقسيم المياه بين نهرى النيل والكونغو الى أن يصل خط الحدود الى ميناء مهاجى الذى يقع فى الطرف الشمالى الغربى ببحيرة البرت نيانزا .

اتفاقية الكنغو الحرة عام ١٨٩٤

(أولا) : ترجع هذه الاتفاقية الى ما قبل معاهدة السودان السالفة الذكر وهى أول محاولة لبريطانيا لاستقطاع مناطق هامة من السودان لدولة استعمارية أوربية وذلك أن بريطانيا اتفقت فى ١٢مايو سنة ١٨٩٤ مع ملك البلجيك ليوبولد الثانى المالك الشخصى للكنغو الحرة بناء على اتفاقية تحديد مناطق النفوذ المعقودة فى سنة ١٨٩٠ بين انجلترا وألمانيا وعلى اتفاقيات أخرى .

اتفقت بريطانيا والبلجيك على أن تؤجر بريطانيا الملك البلجيك ليوبولد الثانى مديرية بحر الغزال بأكملها تقريبا وجزء شمالى هذه المديرية . ويقع هذا الجزء المؤجر بالتقريب من شمال فاشودة ويمتد غربا على امتداد خط العرض الشرقى ١٠° الشمالى الى أن يتقاطع بخط الطول ٢٥° شرق جرينتش (شمال غرب حفرة النحاس) ثم يحد غربا بخط يمتد من هذا التقاطع ويتبع خط الطول الشرقى ٢٥° المذكور جنوبا الى أن يلتقى بخط تقسيم المياه من النيل والكنغو ويتبع خط تقسيم المياه المذكور الى أن ينتهى عند ميناء مهاجى التى تقع على الشاطىء الغربى لبحيرة البرت نيانزا ثم يمتد الحد من مهاجى شمالا متبعا مجرى النيل الى يصل شمال فاشودة ثانيا . وكان هذا التأجير دون الرجوع الى مصر أو السودان ومدته موقوته بطول مدة حكم ليوبولد وبعد هذه تؤول الى خلفائه .

وكل ذلك نظير تأجير البلجيك الى انجلترا شريطا من الأرض عرضه ٢٥ كيلومترا يمتد ما بين بحيرتى تنجانيقا ونياسا (ومن أراد التفاصيل فليرجع الى نص المعاهدة وهى معاهدة الكنغو بتاريخ ١٨٩٤/٥/١٢ صحيفة ٢٨٦ من مؤلف عنوانه السودان الانكليزى المصرى تأليف البكباشى الكونت جليشن Lt. Col. Count Gleichen سنة ١٩٠٥) وهذه المعاهدة وقعها نيابة عن انجلترا السير فرانسس بلانكت (Sir Francis Plunkett) وعن البلجيك فان انفلد (Van Enfelde)

(ثانيا) : مقاطعة اللادو — بعد ذلك حدثت تعديلات واتفاقيات أخرى انتهت الى رجوع مديرية بحر الغزال للسودان ما عدا الجزء الجنوبى منها وهو مقاطعة اللادو (LADO) التى كان يجب اعادتها الى السودان بأكملها فى سنة ١٩٠٧ أو سنة ١٩١١ (عند وفاة ملك البلجيك) .

لكنها لم تعد بأكملها بل أعيد جزء صغير جدا منها وضم الباقى الى أملاك بريطانيا ضمن أوغندا وكينيا فبدلا من أن تمتد حدود السودان الى الطرف الشمالى من بحيرة البرت نيانزا تقلصت الى امتداد خط العرض ٥ الشمالى مارة قرب غندوكرو .

(ثالثا) : الحدود الغربية لم يكتف الانجليز بذلك بل تنازلوا سنة١٩١٩ تحت ستار تعديل الحدود الغربية عن بعض أجزاء من حدود السودان الغربية بين دارفور ووادای اقتطعتها لحليفتها فرنسا .

(رابعا) : وفى عام ١٩٣٤ تنازلت بريطانيا الى ايطاليا الفاشية دون الرجوع الى مصر (كما فعلت فى المرات السابقة عن المثلث الذى فى الشمال الغربى من السودان ومساحتــه كما قلت لا تقل عن مساحة مديريتى النيل الأزرق وسناز معا أو بما يزيد عن مديرية كسلا تنازلت عنه بريطــانيا بلا مقابل اما خوفا من ايطاليــا أو استرضاء لها • ولم تستتر انجلترا على فعلتها بل أنها على العكس من ذلك أظهرت هذا الجزء المسلوب على الخرائط وعليه عبارة Ceded to Italy, 1934 ضم الى ايطاليا ١٩٣٤

وهناك الكثير من التغيير والتبديل والتحوير والتنازل عن أراضى السودان مما يضيق المجال عن حصره ومن أراد المزيد فليرجع الى معاهدات الحدود التى عقدتها انجلترا بينها وبين الحبشة وغيرها فى الملحق «أ» من كتاب السودان الانجليزى المصرى للبكباشى الكونت جليشن • مما يدل على أن بريطانيا قد استباحت لنفسها حرية التصرف فى أراضى الوطن السودانى وسلمتها لقمة سائغة لغيرها من الدول الاوربية ارضاء لسياسة الاستعمار القائمة على تقسيم مناطق النفوذ غير عابئة بحقوق الوطن السودانى وشعور أهله وهو نفس ما فعلته فى مصر من قبل عندما تصرفت فى حدود مصر الشــمالية الشرقيــة (معاهدة رفح سنة ١٩٠٦) وفى حدود مصر الغربية عندما تنازلت عن واحة جغبوب لايطاليا وميناء بردى سليمان غربى السلوم سنة ١٩٢٥

زيارة السيد عبد الرحمن المهدى لليوزباشي محمد نجيب بمنزله في اردن سرتي سنة ١٩٣٧

اللغة والأدب في جنوب الوادي

للأميرالاى أركان الحرب محمد نجيب

لكلٍ من شطرى وادى النيل بالآخر علاقات طبيعية وقومية واقتصادية وغيرها ، وقد وجدت هذه العلاقات منذ أقدم العصور وستبقى قائمة مادام النيل يجرى فى واديه .

لكن مع هذا يجهل الكثيرون ويا للأسف هذه الحقائق ناسين أن الروابط القومية بين شمال الوادى وجنوبه هى أقوى الروابط وأمتنها وهى روابط الدم والعادات واللغة والدين ، لذا أردت نشر هذه الكلمة الموجزة لازالة ما يعلق ببعض الاذهان عن سكان السودان وعن لغتهم التى يظن البعض أنها غير العربية ، استنادا الى أنه يوجد بين سكان السودان خلاف العرب قبائل البجا وهى التى تقيم بين النيل والبحر الاحمر من مصر الى اريتريا والحبشة ، وقبائل النوبة المنتشرة على ضفتى النيل من اسوان الى دنقلة ، وقبائل الزنوج التى تقطن بين خط « ١٠ » الشمالى وبين الحدود الجنوبية للسودان .

لكن لو أمعن هؤلاء النظر قليلا لوجدوا أن نفس الشىء موجود فى مصر وفى غيرها من الامم ، فان سكانها الاصليين هم قدماء المصريين الذين حكموا مصر والسودان منذ أقدم عصور التاريخ ، بل يقطنها الآن بين اسوان وحدود السودان نفس النوبة من سكان السودان ، كما

تقيم حول اسوان وبينها وبين البحر الاحمر قبائل البشاريين وهم من صميم قبائل البجا الذين فى السودان ، هذا بخلاف الأقباط والعرب .
فهل معنى ذلك أننا فى مصر لا نتكلم العربية أو اننا شعوب متميزه عن بعضها ؟

واللغة العربية هى لغة الوادى والأغلبية العظمى من أهل السودان ، عرب نزح نحو تسعين فى المائة منهم عن طريق وادى النيل من الشمال الى الجنوب ، أما العشرة فى المائة الباقية فقد دخلت السودان بعضها عبر البحر الأحمر ، وبعضها من الغرب ، ومازال لمعظم هذه القبائل بطون فى مصر تحمل نفس الاسم والعادات والتقاليد مثل قبائل الهوارة وبنى هلبا وجهينة وبنى عدى والعبابدة وغيرهم تتشابه لهجاتهم وعاداتهم وطرق معيشتهم الى الآن .

وقد امتزج العرب فى السودان بسكانه من غير العرب ، فتألف منهم شعب واحد وسادت السودان اللغة العربية كما حصل فى مصر . ولكن نظرا لأن السودانيين لم يختلطوا بغيرهم من الأجانب لبعدهم عن أوروبا كما اختلط اخوانهم فى مصر ، ونظرا لتفرق القبائل السودانية فى مساحات واسعة فقد احتفظوا بلغتهم العربية الدارجة صحيحة الى حد بعيد فلم يدخلها من الألفاظ الأعجمية ما دخل عليها فى مصر أو غيرها من البلاد العربية ، كما نشر العرب فى السودان عاداتهم وصفاتهم وتقاليدهم المحمودة كالشجاعة والكرم والمروءة والشمم وأخذوا عن قبائل النوبة والبجا والزنوج ما امتاز به هؤلاء من صفات طيبة هى المحور الذى تدور حوله أغانيهم وأشعارهم . بل أن لسمو المعانى التى امتازت به الأغانى السودانية لأكبر الاثر فى تهذيب نفوس الشعب هنالك

واليها يرجع الفضل فى احتفاظ القوم بأحسن الصفات وأطيبها مما جعل الجندى السودانى من أشجع جنود العالم ان لم يكن أشجعهم طرا ، ولقد اتخذ السودانيون من الأدبيات كالنثر والشعر والغناء سجلا لتاريخ البلاد ولأهم حوادثها من وقائع حربية ومن حوادث للبطولة والوطنية والتضحية والكرم وغيرها .

وها هى أمثلة من الأدب السودانى وسأبدأها بمختارات من قصيدة ألقيت فى المهرجان الأدبى بالسودان وهى لفضيلة الشيخ عبد الله عبد الرحمن الأمين الضرير أستاذ اللغة العربية فى السودان وهى :

المهرجان لجيلنا	فخر يسجله الزمان
عيد تفرد بالعلا	ء فما له فى الفضل ثان
إن لم يجئ بعد الأوا	ن فلم يجئ قبل الأوان
خفت له كل البلا	د وراح يجمعها مكان
المغربان يباهيا	ن به وتزهى المشرقان
والعرب ناظرة له	وحجازها والقبلتان
ودمشق تجرى تحتها	أنهارها والرافدان
والنيل راقصة له	أمواجه والشاطئان
ويقول مغتبطا به	نعم الموفق والمعان
هل مصر والسودان	إلا فى رباه عشيرتان
وربيبتان بحجره	وعلى هواه مقيمتان
وبنعمة الله الكبـ	ـير وفضله تتحدثان

ومنها :

يا أيها العرب الكرا م الأصل من قاص ودان
الضاد موطنكم ومن حق المواطن أن تصان
والعلم يدعو للتآ خى والتعاون والتدان
وأرى الثقافة ينبغى ألا يكون لها مكان

وللقريض فى الغناء أثر كبير ، وها هى بعض الاغانى السودانية من تأليف الاستاذ الحاج محمد أحمد سرور المغنى والموسيقار السودانى الشهير ، ففى بضعة أبيات من قصيدة واحدة نجد معانى الوطنية والشجاعة والكرم والفخر وغيرها متجمعة وعنوان هذه القصيدة (واجب الأوطان يدعونا) .

واجب الأوطان يدعينا نـدأب
ليل نهار ونبذل كل مساعينا
نحن الحزم رائدنا والاقدام مبادينا
نحن الجود والكرم مصادرهم أيادينا
قياسنا الرقمى فى الأخلاق مدارسنا ونوادينا
بفضل الوحدة والايمان سنقهر من يعادينا

***

بلادنا نفوسنا تفداها وترعاها مآقينا
حيث سماها ظلالنا وسايق نيلها سأقينا
رضعنا ابان تربتنا ترعرعنا وترقينا
فان لم نحن نحميها فلا كنا ولا بقينا

اسأل عننا والتاريخ يروى الحق ويرضينا
واسألَ عننا الأيام واسألَ عنا ماضينا
وسلَ عن عزمنا الجبار اذا سلت مواضينا
نبادرَ وتندفع للموت ندافع عن أراضينا
فما اخترنا سوى العليا ولا يوما تصدينا
لغير المجد للسودان ولاسواه رضينا
أقولَ لمن تحدانا اياك وتحدينا
أرضنا شائكة أسلاكا وأقوى الجند جندينا

* * *

بلادنا جميلة فاتنا نار عليها يزيدَ تفانينا
مناظرها وأزهارها وشواطئها وأفانينا
تعيش ونعيش ونحقق أمانينا
تروق ويروق سكانها ونحن نقول أغانيا

وللمؤلف نفسه أبيات من قصيدة فى الغزلَ جمعت بين سمو المعنى وطلاوة اللفظ فىوصفَ جمالَ الطبيعة وطهارة الحب ومعانى العفة وهى :

مابنسى ليلة كنا تايهين فى سمر
بين الزهور أنا وأنت والنيل والقمر
مابنسى ليلة كنا فى شاطىء النهر
نتعاطى خمر الحب فى كاسات الزهر
شفتَ النجوم تنظرنا بى نظرة شذرَ
لما القمر فى أفقه بغيابه اعتذر

وفى قصيدة فى مدح المغفور له أبى السودان سمو الامير عمر طوسون رحمه الله :

ياكنز المروءة وذا التليد والطارف
يادوحة بلادنا وظلالها الوارف
ماذا فيك أقول ياذا الفخار ما عارف
فكرى الا ن غرق فى سيل نداك الجارف
الاسلام جميعه عاطف عليه وشارف
وفاتح للكرم والجود بنوك ومصارف
تبذل غير رياء دون ثبات ومعارف
والكل ياطسون من فيض محيطك غارف

* * *

كل مشروع جليل نلقاك فيه مساهم
بالمال او يسعد يترك خلافك واهم
وظن الامه فيك لو كان دهاها الداهم
توجد فيك دواها ولجرحها مراهم
عزمك أقوى من صاعقة وجنود ومكاسم
موفور الكرامة والمعاضل حاسم
قاصدك ياالأمير تقابله دائما باسم
تفرج همه وأيام غيمه تبقى مواسم

وهذه وغيرها تعطينا فكرة عن اخواننا فى الجنوب وعن لغتهم ولا تكفينى مجلدات لو أردت أن أسوق أمثلة لكل ضرب من القصيد والنظم والنثر ، على انى لست مطلعا على لهجات السودان وعاداته بأجمعها

لترامى أطرافه وتشعب قبائله . كما أن بضاعتى فى اللغة العربية مزجاة ولقد جمعت ما أمكننى جمعه وقد يكون فى السودان الكثير مما يوافق العرب وخصوصاً عرب مصر لم أطلع عليه ، وهاقد فتحت الباب لمن يريد أن يواصل البحث فى هذا الموضوع الخطير ، وبالرجوع الى المراجع القديمة كالمسعودى والمقريزى وابن خلدون والقلقشندى (فى صبح الاعشى) ــ والمراجع الحديثة ككتاب «العرب قبل الاسلام» لجورج زيدان «وتاريخ السودان» لنعوم شقير ، «والعربية فى السودان» للاستاذ الشيخ عبد الله عبد الرحمن الامين الضرير ، وهو مرجع قديم حديث الطبع ظهر سنة ١٩٢٢ .

ولعلى أكون قد قمت ببعض الواجب وسددت بعض النقص فى هذه الناحية من نواحى النهضة الوطنية .



بعض الضيوف من كبار الشخصيات السودانية بمنزل البكباشى ا . ح . محمد نجيب بسراى القبة
بينهم السيد محمد الحسن الميرغنى والسيد عثمان الميرغنى و بعض الزعماء الدينيين فى عام ١٩٤٠

كلمات للرئيس عن السودان

تحيـــــــــة

بنى وطنى أهل الجنوب .

أحييكم أجمل تحية وأطيبها . . . تحية القريب للقريب . والصديق للصديق وأستعيـد معكم - على البعد ، ذكريات الماضى السـعيد الذى قضيته فى ربوع جنوب الوادى ، هناك نشأت وترعرت ، هناك تعلمت ودرست ، وتوثقت بينى وبيكم أواصر القربى والنسب لاانفصام لها على مر الايام .

جمعتنا الآلام والآمـال ، فلا غرو اذا بعثت هيئاتكم وأحزابكم ، وأقطابكم تشد من أزرنا وتؤيد حركتنا وتقف بجانبنا وترجو كما نرجو أن يكلل الله عملنا بالفوز والنجـاح ، « أن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » .

بنى وطنى .

انى أشكر لأهل الجنوب قاطبة ماأظهرته هيئاته وزعماؤه وأفراده من تأييد صادق لحركتنا المبـاركة رشـد لأزرنا فيما نحن بسبيله وكان بودى أن أسعى اليكم بنفسى لاقدم لكم جميعا خالص الشـكر والامتنان .

حقق الله للنيل مطالبه وللوادى وحدته أنه سميع مجيب .

والسلام عليكم ورحمة الله

١٩٥٢/٧/٣٠

الاتحاد ضرورة

« وأما بنعمة ربك فحدث » صدق الله العظيم .

وأنا أتحدث بفضل الله علينا ، فقد ألف بين قلوبنا ، وأصبحنا بنعمته اخوانا ، رأينا ما كان فى جبهتنامن تصدع ، ولممنا ما كان فى شملنا من تفرق ، وأصبحنا كالرجل الواحد لا يصاب فيه عضو ، حتى يتداعى له جميعا بشكواه ، كالجسد الواحد لايصاب فيه عضو ، حتى يتداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى .

ياأنتم أولاء ، قد رأيتم اننا حينما تلاقينا . ما أيسر ان تكاشفنا . واننا حينما تكاشفنا عرف كل منا أن له فى قلب أخيه من المكانة والحب ماكان يجهله فلما علم به ، أدرك كم ضيعنا من الوقت ، وكم خسرنا من الفرص وكم بددنا من الجهد . ولكن لقد انقضى الماضى بخيره وشره ، وحسابه على الله . والله غفور رحيم ولكن الحاضر هو الذى يشغلنا والمستقبل هو الذى يحتاج الى عنايتنا .

لقد كنت ولا زلت أومن أن التعاون والتعاقد لا يتم الا فى جو حر وبين ارادات حرة ، أما الاتفاقات التى تبرم فى ظل الاكراه ، فلا تلبث أن تزول ولا تقوم لها قائمة .

كما كنت أومن أن ضمان نجاح الاعمال العامة هو انكار الذات فان لم يتوافر هذا العنصر كان كل جهد ضائعا فلا تنفع المواثيق ولا العقود

ولقد كتب الله لنا النجاح فى شمال الوادى فمحونا ما كان يملأ الجو من فريات وأكاذيب ، كان قصد خصومنا من ترويجها والالحاح على ترديدها

أن مصر لا تبغى فى السودان الا أن تسوده وتستعلى على أهلية • ولقد رأيتم ـ كما قلت ـ حينما تلاقيا و نكاشفنا أن مايضمره المصرى لأخيه السودانى ليس الا الحب الخالص • والمودة النقية • والرغبة الصادقة فى لتعاون وأنه يتمنى للسودانيين ما يتمناه لنفسه من حرية كاملة وسعادة شاملة وأن نسير معافى طريق التقدم والعزة وأن ننظم جهودنا فى ميادين الثقافة والاقتصاد وأن نقف صفا واحدا فى وجه كل من يضمر لنا السوء أو يفكر فى الحاق الاذى بنا •

ولقد ترك أهل الشمال ، ما تم من عمل فى القاهرة وديعة فى أعناق أهل الجنوب ليتموه ، ويصلوا به الى أقصى الغاية • ولا سبيل الى ذلك ألا بتدعيم الاتحاد بين السودانيين جميعا • ولقد ظهر لاخواننا السودانيين أنهم متفقون على الهدف وأن الخلاف بينهم قاصر على الوسيلة أو الاسلوب واعتقد أنه من الممكن ، مع الجهد والاخلاص ، ومع الصبر وضبط النفس أن يتم التفاهم حتى على الأمور التى سببت هذه الخلافات الصغيرة •

وانى لأناشدكم أيها الاخوة الاعزاء • أن تبذلوا كل مافى الوسع وأن تتجشموا كل تعب ، للقضاء على أسباب هذه الفرقة وأن تتعاونوا ما استطعتم • فان الاتحاد يكسبنا قوة تجعلنا أمنع من عقاب الجو ، وتخلق لنا حصونا لا ينال منها الأعداء ، وان كان بعضهم لبعض ظهيرا ، فالاتحاد سلاح لا يفل تنثنى أمامه كل قوى الأرض المادية ، فلا القنابل الذرية ، ولا الدبابات بقادرة على أن تنال من أمة متحدة •

ولقد علمنا تاريخنا المجيد هذا الدرس ، فقد كان حول رسول الله عليه الصلاة والسلام جماعة صغيرة من المؤمنين ربط الحب بين قلوبهم فأصبحوا كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا ، تحالفت ضدهم قوات

الشرك ، ثم تألبت عليهم جيوش الأباطرة والأكاسرة ، فجيشوا الجيوش وجمعوا الأموال ولكن صمد الرسول صلى الله عليه وسلم ، وصمد صحابته حتى صدق الله وعده ، ونصر عبده ، وأعز جنده ، وهزم الأحزاب وحده .

هذه الأسوة الحسنة لا تزال تطل علينا لتهدينا طريقنا فلنتأس بها ولنتعلم منها ، لنجدد للناس تقاليدنا ، ولنعد كما كنا وحدة لا تنفصم ، وجبهة لا تتفرق ، ولننكر ذواتنا ، ولننس أحقادنا وخلافاتنا وسنرى أن معجزة الاتحاد تحقق لنا في أقل الزمن مالا نحلم به وما سيفخر به أولادنا وأحفادنا .

أن مايدفعني الى الالحاح في الدعوة الى الاتحاد هو انني أريد لكم ما يريده كل مصري لمصر من الحرية والمنعة والعزة ولقد آمنت أن الاتحاد هو الطريق الى الحرية والمنعة والعزة ولذلك دعوت اليه المصريين وهأنذا أدعو اليه السودانيين ، تأسيا بقول رسول الله (لايكمل ايمان أحدكم ، حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه) صدق رسول الله .

١٩٥٢/١١/١١

تحرير السودان

أستطيع أن أؤكد لك أن الأحزاب السودانية مجمعة كلها على المطالبة بوجوب جلاء البريطانيين عن السودان ، وقد أيدت هذه الاحزاب ، بالوثيقة التي وقعت أخيرا ، المذكرة المصرية التي سلمت منذ شهرين الى الحكومة البريطانية . . .

ان الانجليز زعموا دائما أنهم يظاهرون الشعب السودانى فى مطالبه وهذه هى مطالب الشعب السودانى قد أوضحتها بجلاء أحزابه السياسية التى تمثله ، انى لأجد نفسى عاجزا عن ادراك تردد البريطانيين العجيب فى الاستجابة لحقوق السودانيين الطبيعة وهى حقوقهم فى التمتع بالحكم الذاتى الذى لايمكنهم أن يقرروا مصيرهم بحرية مطلقة الا تحت ظله ، لقد قلنا كلمتنا الاخيرة فيما يتعلق بالسودان،ولن نخذل الشعب السودانى

تصفية الإدارة السودانية

«تم اليوم بحمد الله وتوفيقه توقيع الاتفاق من الحكومتين المصرية والبريطانية لتصفية الادارة الثنائية فى السودان واقامة حكم ذاتى كامل توطئة لممارسة السودانين حق تقرير المصير فى جو من الحرية التامة والحيدة الكاملة وانه ليسعدنى أن أذيع هذا النبأ السار الذى يدخل السرور على قلوب السودانيين واخوانهم المصريين •

ان هذا الاتفاق يفتح صفحة جديدة فى علاقات المصريين باخوانهم السودانيين ، صفحة اخاء وثيق ومحبة دائمة وثقة أكيدة كما يفتح صفحة جديدة فى علاقات مصر بالمملكة المتحدة تعيد الثقة بينهما سيكون لها أثرها الطيب فى حسم باقى المسائل المعلقة بين البلدين •

ولنا الحق أن تتطلع منذ هذه الدقيقة الى ما يستوجبه الاتفاق الذى وقعنا عليه اليوم من نية صادقة فى تنفيذه وتصميم أكيد على الاحتفاظ بالروح الودية الخالصة التى أملته والتى كان وجهها الأول صالح السودانيين وكرامتهم •

فالقضية التى حسمها هذا الاتفاق هى قضية السودانيين أولا ولذلك لقد توخت مصر فى جميع الخطوات التى خطتها فى هذا الشأن الاتصال الوثيق الدائم بالسودانيين جميعا ومن ثم وقفت مصر موقف المطالب بما أجمع عليه السودانيون أنفسهم ، ذلك الاجماع الذى كان له أثر حاسم فى الوصول الى الغرض المنشود .

وان مصر ستظل دائما وفية للسودان محافظة على اتصالها بالسودانيين وعلى استعداد كامل فى كل وقت أن ترفع صوتها وتبذل جهدها فى سبيلهم وتقف صامدة الى جانبهم وجانب حقوقهم ، والله ولى التوفيق » .

أريد أن أبدأ حديثى بتوجيه أطيب التحية وأخلص التهنئة القلبية لكل سودانى ولكل مصرى . أما عن شعورى فهو شعور كل وطنى محب لبلاده وهو فى الواقع شعور كل مصرى وسودانى .

ولقد وصلنا الى هذا الاتفاق بعد جهد طائل ومشقة بذل فيها كل فريق ما استطاع لتقريب وجهات النظر وكان سلاحنا نحن هو ذلك السلاح المعنوى الذى لايفل . هو الايمان بالله وبعدالة مطالبنا وباتحاد كلمتنا سواء فى الشمال أو فى الجنوب ولولا هذا الاتحاد لما حققنا شيئا ولذا أريد أن أوصى مواطنينا فى السودان وفى مصر ألا يتخلوا عن هذا السلاح الفعال . الى أن يتم تنفيذ هذا الاتفاق لأن مرحلة التنفيذ أخطر وأدعى الى التمسك بالاتحاد مهما كلفنا من تضحيات شخصية حتى تتحقق أهدافنا .

ولا يفوتنى أن أنوه بما بذله أعضاء وفد المباحثات المصرى من جهد صادق ومعاونة فعالة وتفان فى الاستمساك بالحق للوصول الى الغاية التى نهدف اليها .

وأكرر الشكر الجزيل لحضراتكم جميعا كل الشكر،وأشكر الوفد البريطانى على المعاونة الطيبة فى الوصول الى التفاهم وقد ساعد على احداث جو من الثقة والتفاؤل • أسأل الله العلى القدير أن يوفقنا وأن يكلأنا بفيض من رعايته وأن يديم علينا عنايته التى لازمتنا منذ بدء حركتنا المباركة •

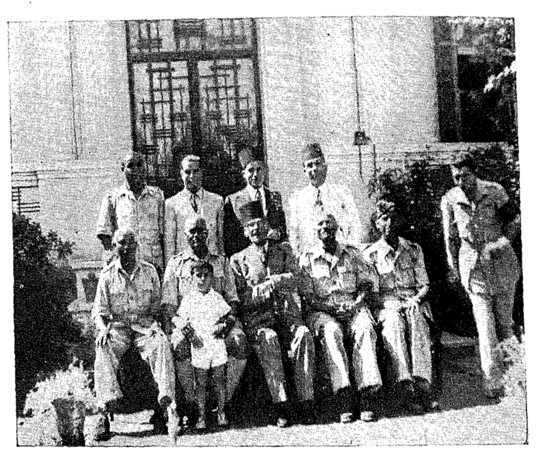
الجوهر لا العرض

لاحق لى فى تكريم • لأنه لا شكر على واجب ، كما أنى لم أكن الوحيد الذى أدى خدمة ، وهناك من هم أحق منى بكثير من سودانيين ومصريين مثال ذلك الصاغ صلاح سالم والشيخ الباقورى وغيرهما من المصريين • وهناك جميع زعماء السودانيين وهم حقا جديرون بكل شكر وتقدير وأعجاب وانما أشكركم لأنكم لم تحرمونى من حضور هذا الحفل الذى تحتفلون فيه بمناسبة الاشادة بأمر عظيم هو اتفاقية السودان •

لاتصفقوا لاتفاقية السودان الا بعد أن تضمنوا تنفيذها تنفيذا صحيحا ولن يكون هذا الا اذا تمسكتم بأهداب الاتحاد الذى هو سيفكم الوحيد •

أننا لم نصل الى الاتفاق الا بعد جهاد مرير استغرق أكثر من ثلاثة أشهر من ٢ نوفمبر سنة ١٩٥٢ الى ١٢ فبراير سنة ١٩٥٣ •

ثلاثة أشهر ونيف • • قضينا كل هذه المدة وتحملنا فيها من أساليب السياسة الاستعمارية المراوغة واللف والدوران التى لا يتصورهاالانسان الى أن وصلنا الى توقيع الاتفاق •



بمنزل البكباشى ا . ح . محمد نجيب بسراى القبة بعض ضباط قوة دفاع السودان ممن كانوا
بمعسكر بنى يوسف بمديرية الجيزة إبان الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٢

كل هذا أساسه الأول اتحاد أبناء وادى النيل سواء المصريون أم السودانيين فالاتحاد سندنا الوحيد •

والأمر الثانى أننا جميعا سودانيين ومصريين تركنا « العرض » وتمسكنا « بالجوهر » فقط هذا الجوهر هو تطهير الوادى شمالا وجنوبا من وطأة الاستعمار •

فمتى طهرنا بلادنا من نير الاستعمار ، سيان لدينا اذا اتحدنا أو استقل كل منا وقررنا أن نكون محايدين •فنتركهم يقررون مصيرهم على أساس واحد هو الا يعود أى نفوذ أجنبى مطلقا الى السودان أو الى مصر •

ولقد حاول المستعمر كثيرا أن يجد ثغرة ينفذ منها الى صفوفنا فلم يستطع الى ذلك سبيلا •

ولما وجد اتحاد الكلمة فى الشمال والجنوب وتعاون المصريين والسودانيين على هذا الاتحاد رضخ أخيرا ولكن لاتنسوا أن خصمنا ماكر عنيد يتربص بنا الدوائر ويبحث عن الفرص ليفسد تدبيرنا •

جاءت مشكلة الانتخابات فبدأ الانجليز قبل أن يجف حبر هذه الاتفاقية باضطهاد زعماء السودان وتشريدهم لهم لعلهم يجدون سبيلا ، ولما عجزوا ووجدوا اصرار المصريين والسودانيين على التمسك بتنفيذ الاتفاقية رضخوا أخيرا •

ولن نصل الى هذا الا بقوة ايماننا واتحادنا لأن غرضنا الأسمى حرية البلاد وليست الانتخابات•لأن الانتخابات قد تكون معدة للوقيعة بالبلاد

لقد أدرك زعماء الجنوب أن الانتخابات لن تؤدى الا الى حكم ثلاث سنوات فيجب ألا تكون الانتخابات وسيلة ينفذ منها المستعمر الى صفوفنا

والحمد لله ترد الأنباء من السودان مطمئنة على سداد رأى الزعماء واتحاد كلمتهم ، فالاتحاد هو السلاح الوحيد الماضى فى أيدينا أن تخلينا عنه يوما ضاع كل شىء .

فأوصيكم جميعا دائما بالاتحاد وألا تتأثروا الا بالجوهر وهو حرية البلاد .

انها فترة ثلاث سنوات ... اما أن نخرج منها أحرارا أو نخرج منها عبيدا .

اننا بحمد الله نرى تقدير قيمة اتحادنا موفورة فى الشمال والجنوب .

ان هذا اليوم من أسعد الأيام لقد ازداد كم حفلكم بهجة بتشريف زعماء مديرية جبال النوبة الذين يحلون بينا الآن ، وأن كل سودانى ومصرى يرحب كل الترحيب ويبادلهم تلك المحبة الصادقة .

لقد حللتم على آلكم ووطنكم ودياركم . . ضيوفنا هؤلاء اشتهر عنهم البأس والتمسك باستقلالهم وطالما وقفوا ثابتين أمام الاستعمار وحافظوا على حرياتهم . . هؤلاء يمثلون خيرة الزعماء الذين تفنى أغراضهم فى سبيل اسعاد مواطنيهم ، تداركوا بحكمتهم هذه العشائر فأصبحت متحدة دائما قوية الاتحاد ، وهذه الصفة هى كل شىء وقد اشتهروا بالشجاعة وقوة الايمان وانكار الذات فى وقت الشدة ، فأرجو أن تشتركوا معى فى تحية هؤلاء الأفاضل وانى نيابة عنكم لأحييهم وأحيى قبائلهم فى السودان والله يجنبنا الزلل وحب الذات وأرجو أن يسمحوا لى أن أقدم واجب الشكر على ما أبدوه من تعاون وثيق .

اتحــاد لاينهار

ان ماصادفنا من صعاب وما لقينا من عقبات كان الصبر عليهــا هو السبيل الى التغلب عليها ، وواصلنا السير فى طريقنا ننظر الى فوق وتتطلع الى الأمام حتى كلل الله جهدكم وجهدنا بالاتفاق مع حكومة المملكة المتحدة حول مسألة الســودان • والذى يهمنى أن أنوه به وعنــه هو الاتحاد الشامل بيننا فى مصر وفى السودان ، فبفضل الاتحاد نجحنا • والذى وصلنا اليه من نجاح هو احدى الثمار الناضجة لاتحادنا • كنت أتصــل كل يوم باخواننا فى السودان لأتحقق بنفسى من أن البناء قائم لم يتصدع وان الاتحاد قائم لاينهــار . انى مؤمن بذلك ولكن قلبي يريد أن يطمئن على ايمانه فنستمد ، من الاطمئنان شجاعة وقوة نثبت بهما أقدامنا ونحقق بهما مطالبنا ، وكل الذى أرجوه من الله أن يديم الاتحاد بيننا فهو السلاح المعنوى الوحيد الذى لا تعادله الا رعاية الله فحافظوا عليه ولا تجعلوه يفلت منكــم أبدا •

ان المستعمر اذا استشف فرقة أو خلافا فانه يزحف علينا ويتدخــل بيننا فحذار من الخلاف وأياكم أن تنشقوا ••• عليكم بالتضحية وانكار الذات والايثار ••• فكل أولئك هى السبيل الى استقلالنا والى جــلاء المستعمر عن بلادنا والى التمكين لنا فى ديارنا فنصلح الامر فيها ونفعل الخير من أجلها ونرفع المستقبل لها •

لقد وجب علينــا أن نقطع على أنفسنا الوعد بالمحــافظة على تراثنــا وبلادنا مهما يكلفنا تحقيق هذا الوعد من ثمن ، وأن نغمض أعيننا عن مصالحنا الخاصة وأن نكفر بالزعامة الزائفة والرسالة المغرضة والجهاد الرخيص ولننصرف بقلوبنــا نحو الهدف الأسمى وهو تحقيق الجــلاء

واستقلال وادى النيل والوحدة بين شماله وجنوبه ، نحن اخوة فى الله والدين والوطن وضلت بيننا جراح ، وربط بيننا كفاح ... فلا تجعلوا للتفرقة مجالا بينكم أو ثغرة فى صفوفكم فقد احتملنا مرارة التفرقة التى جعلت منا ومن بلادنا لقمة سائغة فى فم الجائع المسعور والطامع المنهوم .

ولا يصرفنكم الايمان بعدالة مطالبكم عن الايمان بعدل الله فاعدلوا فيما بينكم ووحدوا صفوفكم وارفعوا ألويتكم وجددوا الحياة واستعينوا بالله يكن لكم ويكن معكم .

وأسأل الله العلى القدير أن يكلل أعمالنا بالتوفيق وأن يجنبنا شرور التفرقة وأن يبصرنا بمواضع الضعف فى نفوسنا وأن يجعل مستقبل أيامنا وبلادنا خيرا من حاضرنا وحاضرها .

روح رياضية

ان القوات البريطانية لن تعود ثانية الى السودان بعد خروجها منه طبقا لما نص عليه الاتفاق بين الحكومة المصرية وحكومة المملكة المتحدة فيما يختص بمستقبل السودان .

ان أملى عظيم فى أن الأحزاب السودانية التى وقفنا بجانبها وأصررنا على تحقيق المطالب التى اجتمعت عليها كلمتها .. تعتبر المعركة الانتخابية القادمة فى السودان كمباراة فى كرة القدم ، فتنزل الى ميدان المعركة بالروح الرياضية التى تبقى دائما سليمة وصافية مهما تكن النتيجة خصوصا أن الحزب الذى يفوز بالأغلبية فيها لا يتمتع بفوزه الا لمدة فترة الانتقال وهى ثلاث سنوات .

ان ثقتى عظيمة فى أن الروح الرياضية ستسود الاحزاب السودانية فى المعركة الانتخابية القادمة ، وبذلك تقطع بسلام واطمئنان تام المرحلة

الأولى من مراحل تنفيذ الاتفاق السودانى الذى اعتبره جميع الزعماء السودانيين نصرا مبينا . . . الاتفاق لم ينص الا على أمرين اثنين لا ثالث لهما بشأن تقرير الشعب السودانى مصيره . . . الأمر الأول هو الاتحاد مع مصر . . . وأما الثانى : فهو الاستقلال التام .

اتحاد مع مصر أو استقلال

ان الاتحاد هو الذى أوصلنا الى ما نحن فيه من حظ عزيز كريم وهو الذى سيحوط دائما هذه العزة وهذه الكرامة ويحيطها بسياج منيع .

ثم لا تظنوا أن المرحلة التى قطعناها هى كل شىء كنا نؤمله ونسعى اليه . . فهذه المرحلة لا تزيد على أنها مرحلة أولى ، فأما المرحلة الثانية فهى أهم وأشد خطرا ، بل هى كل شىء ولن نقوى على اجتيازها بسلام آمنين الا اذا كان الاتحاد ملء قلوبنا والمهيمن على حركاتنا وخلجات نفوسنا .

ان الهدف الأعظم هو أن ننال حريتنا وأن نتخلص من نير الاستعمار والاستعباد . فلتضعوا أمام أعينكم هذا الهدف الاسمى ، ولتنظروا الى كل ما عداه من الأهداف الأخرى على أنه من قبيل العرض الزائل البائد لا من قبيل الجوهر الباقى الخالد . . فان أشخاصنا فانية ومصالحنا موقوتة أما الوطن فدائم خالد لا يزول .

ان المستعمر سيتربص بكم الدوائر . . ويتلمس بين صفوفكم الثغرات لينفذ منها الى اشعال نار الفرقة بينكم ويبعث لظى الأحقاد فى قلوبكم وسوف لا يرى وسيلة الى غايته هذه . . أيسر من الانتخابات فان أنتم خضتموها متسامحين فى حقوقكم الشخصية متغاضين عن رغباتكم الفردية واضعين نصب أعينكم المصلحة الوطنية العليا وحدها . فسيبوء بالعجز ويرجع بالهزيمة . . وستفوزون أنتم بأعز ما فى هذه الدنيا وهو الحرية والاستقلال .

ان الفوز بكرآسى الحكم هو فوز مؤقت ولا سبيل للاحتفاظ به أكثر من ثلاث سنوات وهذه الفترة القصيرة لا تستحق التشاجر والتشاحن وخاصة اذا أدى ذلك الى تقاطع بين الاخوة المجاهدين وتعريض مجـد الوطن كله للضياع والانهيار .

هبوا اننا ما زلنا تتفاوض مع المستعمر وأن هذه المفاوضة ستستغرق ثلاث سنوات وهذا الغرض سوف يحملكم على المحافظة على ارتباطكم بعضكم ببعض وتعاونكم بعضكم مع بعض . لأن الفترة قصيرة والمدى قريب . وحبذا لو قسمتم الدوائر الانتخابية بينكم بحيث يكون لكل حزب عـدد معين من الدوائر حتي لا تكون الانتخابات سببا فى اثارة الفرقـة وايجاد الفتنة واحيـاء النزاع . . « ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم ، واصبروا ان الله مع الصابرين» .

لا تنسوا أن مصر قد جازفت بكل شيء فى سبيل ارضائكم ، وأن أهم ما اشترطته هو أن يجلو المستعمر عن أرضكم ، وأن تتمكنوا من تقرير مصيركم فى جو حر بكل معنى هذه الكلمة وعلى ألا يعود النفوذ الأجنبى الى السودان بأى حال من الأحوال .

وسيكون تقرير المصير على أساس الموازنة والاختيار بين أحد أمرين لاثالث لهما ولا يمكن أن يكون لهما ثالث . أولهما ـ اتحاد السودان مع شقيقته مصر ، بأى نوع من أنواع الاتحـاد ، والثانى : اسـتقلال السودان استقلالا تاما ، وخاليا من كل نفوذ أجنبى بغيض ... وكل قول سوى ذلك القول انما هو ضرب من الأوهام ولا أساس له من الصحة ولم تنص الاتفاقيـة على غير هـذين الامـرين فلا « دومنيون » ولا « كومنولث » ولا شيء مما تتعرض به الحرية للخطر ويتعرض به الأحرار للاستعباد من جديد . وأن أية محاولة من هـذا القبيل سوف تتعارض

تعارضا تاما مع اتفاقية السودان المبرمة في ١٢ فبراير سنة ١٩٥٣ وسوف يكون من شأنها فسخ هذه الاتفاقية وتمزيقها والرمى بها فى عرض الطريق فلا تصدقوا أى قول غير هذا الذى أقول ، ونحن من سودانيين ومصرين لا نعترف مطلقا بأى شىء غيره ، فهو الذى دار عليه حديثنا وتم به اتفاقنا جميعا من سودانيين ومصريين وبريطانيين.

وكل قول سوى ذلك فهو من قبيل اللف والدوران والمراوغة التى تعودناها من غيرنا والتى لانريد لأنفسنا أن نأخذ بها ، لاننا حين نتفق نتفق اتفاقا الشرفاء الذين لايحاورون ولا يداورون وحين نختلف ، نختلف اختلاف الرجال الذين لايجبنون ولا يترددون ونحن فى كل ذلك نتأدب بأدب الله ايانا « وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا ، ان الله يعلم ما تفعلون» .

شباب السودان

احذروا الشيوعية فان أنصارها يندسون بين صفوفكم ويعملون جاهدين على بث التفرقة واثارة الخلافات فيما بينكم والسلاح الذى لايفل فى وجه هذا كله هو الاتحاد فيجب أن يعمل كل منا لتدعيم الوحدة وصيانتها ، وخير وسيلة لذلك هى أن ننسى أنفسنا وننكر ذواتنا ولانذكر الا الوطن العزيز .

ابذوا أسباب الخلف والشقاق ، وأعلموا أن السلاح الذىلايفل فى وجه هذا المستعمر هو الاتحاد فيجب أن يعمل كل منا لتدعيم الوحدة وصيانتها وخير وسيلة لذلك هى أن ننسى أنفسنا وننكر ذواتنا ولا نذكر الا الوطن العزيز .

ان الانتخابات السودانية قادمة . وقد حرصت على أن أدعو مواطنى السودانيين الى الا تكون هذه الانتخابات سببا فى فصم عرى الوحدة

وطلبت منهم أن يوزعوا المقاعد البرلمانية فيما بينهم وكم كان سروري عظيما عندما علمت منهم ، أنهم سبقوني بيومين بالعمل على هذا التوزيع وبذلك سار الاتحاد مضمونا ومأمونا بين أفراد الشعب السوداني عن بكرة أبيه .

الروح الطاهرة

يسعدني كثيرا جدا أن أكون في حفلة يوجد فيها مواطن سوداني واحد ، فكيف يكون سروري وأنا أجد نفسي في حفل يضم عددا كبيرا من المواطنين السودانيين الأعزاء .

ويسعدني كثيرا جدا أيضا أن نحتفل اليوم بابرام اتفاقية السودان هذه الاتفاقية التي أطنبتم كثيرا في الثناء على شخصي لابرامها ، والواقع أنه اذا كان هناك فضل في الوصول الى هذه الاتفاقية فالفضل كله يرجع اليكم ولاخوانكم في الجنوب ، كما يرجع الى الروح الطاهرة التي سادت وادي النيل ... شماله وجنوبه .

أن السودانيين أجمعين ، والمصريين أيضا ، طرحوا جانبا أسباب النزاع والخلاف ، فلولا هذا الاتحاد لما تحقق لنا أي أمل فيما كنا نسعى اليـــه .

فالشكر الخالص لكم جميعا اذ نبذتم كل خلاف ومصلحة ذاتية ، وبهذا فقط سنحقق ما تبقى من أماني وادي النيل من جلاء وغيره .

واني مهما الححت عليكم في ضرورة التمسك بالاتحاد فلن أكون مبالغا ، فالاتحاد هو السلاح الوحيد ، فلا ينبغي مطلقا أن نلقي به من أيدينا لا لشيء سوى تحقيق مصلحة شخصية أو ذاتية .

ويجب علينا أن يتفانى المجموع فى مصلحة الفرد ، وأن يتفانى الفرد فى مصلحة المجموع ، ونكون جميعا فى هذا التفانى مجردين من أية غاية الا أرضاء الله ومصلحة الوطن •

ان المرحلة الباقية هى أشق مرحلة ، ولاسبيل لتذليلها والتغلب عليها الا بالاتحاد ،هذا الاتحاد الذى يجب على كل منا أن يبشر به فى كل مكان وزمان حتى يتم لنا ما نريد باذن الله

هدفنا تحرير السودان

اخوانى أبناء السودان

السلام عليكم ورحمة الله وبعد

يسعدنى فى مناسبة انعقاد أول اجتماع للجنة الحاكم للسودان ، أن أزجى اليكم أطيب التحية والتهنئة •

لقد دخل اتفاق السودان فى دور التنفيذ الدولى فور التوقيع عليه فى ١٢فبراير سنة١٩٥٣ ، وهاهى ذى أولى اللجان الدولية التى نص الاتفاق على انشائها تجتمع أمس فى الخرطوم ، لتباشر الوظائف التى اسندت اليها ••• وأولى هذه الوظائف الموافقة على اختيار الأعضاء السودانيين فى لجنة الانتخابات • والأمل معقود على أن يتم تأليف لجنة الانتخابات فى أقرب فرصة حتى تمارس هذه اللجنة وظائفها،وهى الأشراف على اجراء الانتخابات وضمان حيدتها وحريتها •

لاتجعلوا الحزبية سبيلا للخلافات

سوف تبدأ الانتخابات عندكم فى القريب ، وانى أنتهز هذه الفرصة لأوصيكم بأن تخوضوها متعاونين متحدين ، فلا تجعلوا للاعتبارات الحزبية سبيلا الى اشاعة الخلاف أو الفرقة بينكم .

فالاتحاد هو الدعامة القوية التى تكفل لكم بلوغ الحرية التى ننشدها جميعا فى ظل عهد جديد يتبوأ فيه السودان مكانته التى نرجوها له .

أن الهدف الذى ترمى مصر الى تحقيقه هو تحرير السودان . وأن مصر أمينة على عهدها وسوف تبذل كل جهد فى سبيل تحقيق هذا الهدف. وستقف دائما الى جانبكم تشد أزركم وتدافع عن حقوقكم حتى يتم لكم باذن الله ماترجونه لأنفسكم ونرجوه لكم .

انى كبير الرجاء فى أن تتوافر حسن النية فى تنفيذ اتفاق السودان ، وسنرعى ذلك من جانبنا فى يقظة وانتباه ، وسنعمل على تنفيذ الاتفاق تنفيذا دقيقا فى نصه وروحه .

حياد مصر

أن مصر متمسكة بحيادها التام بالنسبة لمختلف الهيئات السودانية التى تشترك فى الانتخابات المقبلة ، وترى مصر أن المصلحة الوطنية العامة لمستقبل السودان ، تقضى بل تحتم أن تجرى هذه الانتخابات على أساس الاتحاد القوى المتين بين جميع هيئات الشعب السودانى فهذا الاتحاد الذى أدعو اليه دائما اخوانى ومواطنى السودانيين عن بكرة أبيهم هو الضمان الوحيد للمستقبل المنشود للسودان مهما تكن نتيجة الانتخابات .

ان مصر لا تنشد الا الخير العميم للسودان ، والا الرفاهية النافعة للسودانيين وفى يقينها التام ان هذا وذاك لا يتحققان الا بتكتل الشعب السودانى وسيره الى الأمام جبهة واحدة .

إلى شعب السودان

اخوانى وأبنائى فى جميع أنحاء السودان :

انى لأهيب بكل سودانى أن يتجرد تجردا تاما من المصالح والمطامع الشخصية ، فلا ينظر الا الى الصالح العام لوطنه والاخلاص التام لبلاده كى يؤدى واجبه فى هذه الفترة الحرجة من حياة السودان بما يرضى الله ورسوله والوطن ذلك ان السودان يحتل من قلبى ومشاعرى ونفسى ما لمصر من مكانة ومعزة فقد نشأت وترعرعت فى جنباته وبين اخوانى من أبنائه • ويعلم الله العزيز القهار مبلغ مابذلت من جهود مضنية متواصلة حتى انتهينا الى توقيع اتفاقية السودان التى أعترفت بحق السودانيين فى تقرير مصيرهم • ولكن هذه الاتفاقية ليست هدفا فى ذاتها بل هى سبيل كفاح تفرضه الوطنية على كل سودانى حتى يصل ببلاده الى مانرجوه لها من حرية وعزة وكرامة ••عليكم يااخوانى ويأبنائى بالحرص كل الحرص على مستقبل وطنكم فكلكم عزيز على مهما كانت ميولكم ومعتقداتكم السياسية حتى يتم لكم باذن الله تعالى استخلاص الوطن السودانى من السيطرة والاستعمار والظفر بالحرية والكرامة •

نوفبر سنة ١٩٥٣

رسل الخير

أبنائى الطلبة :

أريد أن أتحدث اليكم عن أمرين هامين ، أولهما هو وجوب البعد عن المهاترات فى بحث المسائل التاريخية للسودان فلا يتكلم أحد عنها الا عن بينة وعلم واذا وجد بين مواطنينا السودانيين أشخاص غرر بهم الانجليز وجذبوهم الى ناحيتهم فان الزمن كفيل بان يحملهم على ان يثوبوا الى رشدهم .

أما الأمر الثانى فهو وجوب دراسة المسألة السودانية دراسة دقيقة ، واجب أن تعلموا يقينا أن المستعمر يعرف حق المعرفة أنه اذا تمت وحدة مصر والسودان فان وادى النيل يكون دولة من أقوى دول العالم كما يعرفون أيضا ان وحدة وادى النيل ستكون أساسا قوى الدعائم لاتحاد اسلامى .

ويخشى المستعمر كثيرا وحدة مصر والسودان لانها ستكون سببا فى انتشار الروح الوطنية انتشارا قويا فى المستعمرات الافريقية وقد كانوا — بعد أن فقدوا الهند — يريدون أن يجعلوا من السودان هندا أخرى ولهذا حاولوا بمختلف الوسائل الاستيلاء عليه وقد استخدموا رجاله فى الحرب الماضية واستغلوا ثروته لمصلحتهم ففيه مناجم للفحم والمعادن المختلفة فضلا عن أنه بلد صالح لأن يكون ملتقى طرق مواصلات جوية متعددة ، ولقد حاولوا أيضا ايجاد فواصل بين جوانبه بل لقد فصلت بالفعل ثلاث مديريات منه .

وأرجو أيضا أن تحافظوا تماما على صلات المودة مع المواطنين السودانيين الموجودين فى مصر فهم رسل خير لاهليهم وذويهم فى السودان .

١٩٥٣/١٢/٢ (خطاب الى طلبة جامعة القاهرة)

كفاح المؤمن

يا أبناء وادى النيل :

انكم ما شيعتم اليوم رفات الموتى ، انما احتفلتم باحياء لا يموتون . لقد احتفلتم بأنفسكم ، بوطنكم العظيم الذي لا يقف عند قرية فى النوبة ، بل الذى يمتد جنوبا حتى خط الاستواء ، بل بوطنكم الذى يتسع شرقا وغربا ، حتى يصل الى مياه المحيط ، ثم يعلو حتى يبلغ جبال طوروس ، انكم احتفلتم بأسمى صفات الانسانية ، وأعلى امجاد البشرية احتفلتم بالتضحية الصامتة وبكفاح المؤمنين أمام قوات الشر ، المتآلبة الطاغية ، احتفلتم بالاتحاد بين شعبى الوادى الذى حاربه الاستعمار وحاربته الرذائل التى تنكب بالأمم حينما تضعفها رذائل الانانية وحب الذات وحب المال .

احتفلتم بالبقية الباقية من جثمان على عبد اللطيف ومحمد زكى عبد السيد ومحمد محمود فرغلى ومحمد سر الختم وعبد الله عبد النور فرفعتم الأنقاض المتداعية عن ذكرى هؤلاء الأبطال المغاوير ، الذين عملوا لوطنهم عملا حفر على لوحة التاريخ ، بحروف من نور ونار . وغدا ، حينما تروح ذكريات هؤلاء الأبطال بيننا وتغدو ، ستغزو هذه الذكريات الأكاذيب التى ضرب المستعمرون نطاقها حول تاريخنا ، وحقائق كفاحنا ، فينطلق أبناؤنا وقد تحرروا من أوهام الماضى ، وفى انطلاقهم من أغلال التربية الفاسدة المفسدة التى جرعنا اياها الاستعمار ، سيعلمون أن وادى النيل لم يخل أبدا من الأبطال وأن أرواح أبنائه فى أشد الاوقات ظلاما وضعفا ظلت شاكية السلاح ، تدافع عن نفسها وترد أذى وكيد الكائدين عن وطنها .

أيها الشباب المصرى :

افتح اذنك ، وافتح قلبك معا ، لتعى دروسا من دروس بطولة اخوانك المجاهدين فى السودان الذين وقفوا أمام حديد الانجليز ونارهم ، فكانت وقفتهم أبلغ دليل علىّ أن صلة مصر بالسودان لا تقوم على رهبة أو رغبة ولا طمع أو استغلال ، انها صلة وثقتها الطبيعية وباركتها يد العناية الالهية .

أيها المواطنون :

اننا حينما وافقنا على اتفاقية السودان كان الضمان الأول لنا هو أن الاتفاقية تضع مستقبل السودان بين يدى شعبه ونحن نؤمن بحكم الشعوب عموما وبحكم الشعب السودانى خصوصا ، أن الشعوب تعرف دائما طريق الحق ، وهى لا تتردد فى السير فيه غير عابئة بالمصائب والمتاعب .

والشعب السودانى ، يمتاز باصاله ورجاجة ، من حقه أن يباهى بها الامم . ولذلك لم نتردد فى أن نبرم هذه الاتفاقية . ونحمد الله أن ما حسبناه قد تحقق ، وأن الشعب السودانى رفع رؤوسنا ، ورؤوس الوطنيين فى كل مكان .

ان مصر والسودان هما أكبر كتلة متماسكة مستنيرة فى افريقيا ،وان عليهما معا ، واجبا فى أفريقيا كما أن عليهما معا واجبا بين البلاد العربية . وان اتحادهما معا ، واتحاد مصر فى البلاد العربية فى الشرق والغرب ، وارتباط الجميع بشعوب الكتلة الاسيوية الافريقية ، سيكون بداية خير للانسانية جمعاء والسلام .

فعلى أبناء وادى النيــل وعلى أبناء العروبة أن يتهيأوا لهــذا المركز العظيم بأن يقيموا حياتهم على أسس من الاتحاد والنظام والعمل .

أما أنتم أيها الشهداء الأبرار .

يا طليعة الحرية والكرامة والوحدة .

فلتهنأ أرواحكم الطاهرة ، فان الغرس الذى غرستموه قد نما وأينع وها نحن أولاء نجنى باكورة ثمــاره .. وانا لنعد تلك الارواح العلوية بأن نحقق لها كل ما عملت له وسعت فى سبيله سنحقق لوادينــا المقدس الحرية والكرامة وسنحقق له الوحدة والعزة .

٦ ديسمبر سنة ١٩٥٣

(فى الاحتفال بنقل رفات شهداء الوادى)

سلاح الاتحاد

مواطنى الأعزاء :

أحمد الله العلى القدير الذى اتاح لنــا أول بشرى من بشائر استقلال بلادنا ، وانني لا أهنئكم بما احرزتم من فوز باهر ، بل أهنئكم بالكيفية الرشيدة التى انتهت بهــا . فقد خاض السودانيون المعركة الانتخابيــة بروح رياضية فأثبتوا رجولتهم وجدارتهم .

أننــا يجب أن نعتز بهذا النجاح الأول ، ولكنى أرجو أن يــذكر السودانيون أن امامهم ثلاث سنوات هى فترة المرحلة الأشق التى يجب

أن نعمل معها على اجلاء الغاصب اجلاء تاما ، وأن السلاح القوى فى ميدان هذا الجهاد هو دائما أبدا سلاح الاتحاد .

ان الحرية غالية ، ولكى نفوز بها يجب علينا أن نضحى بكل شئ ، أن نضحى بأنفسنا ، ونضحى بانكار ذواتنا ، ولا نفكر فى شىء غير تحقيق أهدافنا .

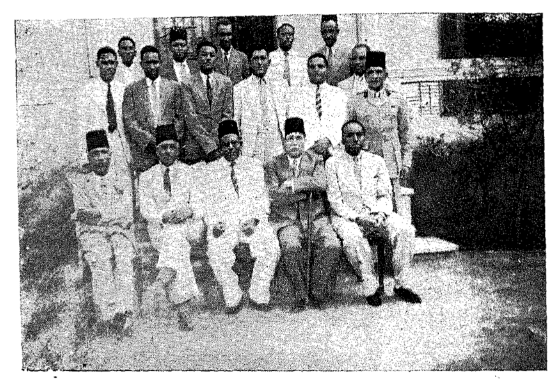
أمامكم أيها المواطنون السودانيون مصر ، فقد وجد فيها الدستور منذ عشرات من السنين ، ولكن المستعمر مشى بين المواطنين فتفرقت الكلمة وتعددت الأحزاب ولم تنتفع البلاد بشىء من الدستور ، فيجب أيها الاخوان أن تأخذوا من ذلك عبرة .

لقد قامت ثورتنا فى مصر ، لا من أجل مصر وحدها ، بل من أجل الوادى ، وكانت قد قامت لهذا الغرض ثورة مصر فى عام ١٩١٩ ، ثم ثورة السودان فى عام ١٩٢٤ ، وكانت كل أهداف هذه الثورات ، مصر والسودان سواء بسواء .

فحافظوا على الاتحاد وانكار الذات واحذروا التفرقة والانقسام فأعملوا متكتلين والله معنا .

١٦ ديسمبر سنة ١٩٥٣

(فى احتفال الهيئات السودانية بالقاهرة)



وفد السودان بمنزل محمد نجيب بسراى القبة ومن بينهم الأستاذ اسماعيل الأزهرى
ويحى الفضلى والبكباشى خلف الله خالد ومبارك زروق

محمد نجيب
ونشأته في السودان

ولد محمد نجيب ونشأ وترعرع فى السودان ، وقضى طفولته وصباه وشبابه الأول فى السودان ، وطاف بين أنحائه وهو بعد دون السادسة عشرة من عمره ، فعرف الخرطوم وأم درمان وحلفا ودلقو وسنجا وأبو نعامه بجوار الرصيرص و واد مدنى وغيرها من مدن السودان ، فاكتسب من ذلك تجربة وخبرة بالسودان وأهله تفوق خبرة السودانى الأصيل ، الذى عاش فى رقعة واحدة من أنحاء هذا القطر الفسيح .

ولم تكن صلة الفتى محمد نجيب بالسودان صلة عابرة ، صلة الابن الذى عاش فى كنف والده الضابط بالجيش و الموظف المصرى بالسودان فترة من الزمن طالت أو قصرت ، ولكنها كانت صلة بعيدة الغور ، تمتد إلى أجداده ، وترتد إلى نحو قرن من الزمان ، فصلة الدم من ناحية ، وصلة النشأة من ناحية أخرى ، تعاونتا فى تكوين شخصية هذا الفتى ، وتصوير عواطفه نحو الوادى وأهله شماله وجنوبه ، لأن أهله وذوى قرباه ، قد توزعت بيوتهم بين شمال الوادى وجنوبه .

لنرجع كرة إلى الوراء . . .

فى ٢٦ يناير سنة ١٨٨٥ سقطت مدينة الخرطوم فى يد المهدية ، وفى حصار الذى كان محتوم النهاية ، استشهد كثير من الضباط والجنود المصريين ، ونذكر من بين هؤلاء الأبطال ، الذين رووا تربة الوادى بدمائهم . البكباشى محمد عثمان ، وهو من أبناء مديرية الغربية . كان البكباشى محمد عثمان — وقيل أنه وصل إلى رتبة الأميرالاى — قائدا

لحامية بوابة المسلمية ، وهى أحد معاقل الخرطوم بالجهة الجنوبية ، ومنها يبدأ الطريق الى المسلمية ووادى مدنى ، ولما جد الجد ، واقتربت أيام الحصار ، وبدأ المدافعون تتواردهم فكرة الاستسلام أو الاستشهاد ، وقبل استشهاده فى آخر يوم للمعركة ، ضرب هذا الضابط المثل بصلابته فأبى أن يخلع رداءه العسكرى ، أو يسلم سيفه ، حتى خر قتيلا فى موضعه ، وهو مدرك — تمام الادراك — خاتمة جهاده ، حيث كانت كلماته لجندى يحثه على الاستسلام ، أن انتهره قائلا : (أنا من الركاب إلى التراب) . ولم يستشهد البكباشى محمد عثمان وحده ، بل استشهد معه اخوة له ثلاثة ، جميعهم من الضباط العسكريين ، هم رضوان وأحمد وشرف ، ولا عجب فى أن نرى أربعة من الضباط المصريين من أسرة واحدة ، إذ أن الجندية بطبيعتها تستهوى نفوس طراز خاص من الشباب ، فاذا ولج بابها واحد فى بيت من البيوت وبرز فيها ، تأسى به اخوته وذو قرباه ، لهذا نرى إلى جانب هؤلاء الإخوة ، ابن عم لهم من الضباط المصريين بالسودان ، هو شرف عثمان ، وابن عمه هو حسن عبد الله، الذى تدرج فى المناصب الإدارية ، حتى وصل الى وظيفة وكيل مديرية الخرطوم ثم مديرية بربر . .

هؤلاء هم أجداد محمد نجيب من ناحية والدته ، وهم جميعا من رجال الجيش والحكم ، وهم جميعا عرفوا السودان وارتبطوا به عن طريق المصاهرة والنسب ، فحياة الجندية والصلة بالسودان لم تكن طارئة على احفاد هذه الأسرة .

وهناك عامل ثالث له اهميته فى تكوين شخصية التلميذ محمد نجيب ، وهو العامل الخلقى ، ولو أن النزعة الدينية والخلقية لاتنتقل بالوراثة ، إلا أنها

تنتقل بالفعل فى صورة تقاليد أو تعاليم، تهمسها الجدات فى أذان الاحفاد وتعلق صورها فى أذهان الصغار .

كان الجد ، الضابط محمد عثمان ، ورعا تقيا ، وهذه حقيقة مقطوع بها ، بل إنه اشتهر بالتصوف والمداومة على تلاوة القران ، وهذا بطبيعته يجمع القلوب حوله ، لاسيما إذا كان الرجل من الحكام ، الذين عرف عنهم البعد عن حياة الزهد والتعبد ، إذ شغل هـــذا الضابط المصرى عدة وظائف مدنية ، منها مأمورية بلدة الجيرة ، بمديرية كسلا — وهى الآن بالارتريا ، واشتهر عنه الكرم والوفادة ، فكان يعد مضيفة بمنزله ، ينزل بها مشايخ العربان والتجار ، ممن يحضرون للعواصم كالخرطوم وأم درمان ، فارتبط وارتبطت أسرته — وهو كبيرها — بصداقة كثير من الأسر السودانية البارزة ، وكان لهذا أثره ، حين حلت النازلة بالخرطوم ، وأصبحت حياة أكثر سكانها من النازلين بها فى خطر .

عندما استشهد محمد عثمان ، خلف وراءه زوجته وولدا واحدا راشدا هو اسماعيل ، ليدبر شئون والدته وأخيه الطفل عبد الوهاب ، وأخته الرضيع والدة الرئيس محمد نجيب ، وتقدم اثنان من المواطنين السودانيين ، الذين أصبحوا أمراء فى جيش المهدى ، فرفعوا راية على باب هذه الأسرة ، بأمر من السيد محمد أحمد المهدى ، فأصبحت الدار حرما لاينتهك ، وأصبح أهلها فى مأمن من الدهماء ، وعاشت الأسرة فى رعاية الراشدين الأحياء من أبنائها الذين اشتغلوا بالتجارة لتدبير أمر معاشها ، إذ أن قوافل التجارة لم تنقطع إبان هذه الفترة ، بين شمال الوادى وجنوبه ، لاسيما عن طريق درب الأربعين ، الذى كان يربط غرب السودان بمدينة أسيوط ، وغيرها من عواصم الصعيد .

وبعد سقوط الخرطوم بعشر سنوات ، وقد استرجعت أنحاء كثيرة من السودان ، تمكن الابن عبد الوهاب محمد عثمان ، وقد بلغ السادسة عشرة من عمره — خال الرئيس — من الهرب من الخرطوم إلى القاهرة مع قافلة من التجار برفقة تاجر من أهل إسنا ، وفى القاهرة قدم نفسه إلى الخديو السابق عباس حلمى الذى كان معنيا بشئون السودان وقد زار الحدود فى السنة السابقة — وحقق موضوعه وما كان من أمر أبيه وأعمامه من الضباط المصريين الذين استشهدوا فى سقوط الخرطوم فأمر بادخاله المدرسة الحربية ، وهذه مسألة لها أهمية كبيرة ، إذ أن التلميذ عبدالوهاب محمد عثمان تعرف فى المدرسةالحربية إلى زميل له يكبره فى السن بعض الشىء ، وكان امباشيا عليه ، هو يوسف نجيب ، وتوثقت بينهما الصداقة ثم ارتبطا بالمصاهرة بزواج الملازم يوسف نجيب بشقيقة صديقه التى عاشت منذ استشهاد والدها فى الخرطوم ولم تروجه مصر حتى ذلك التاريخ .

ثم إن هرب هذا الشاب المصرى المغامر من الخرطوم إلى القاهرة وتقديم نفسه للخديو ودخوله المدرسة الحربية ، وعودته إلى الخرطوم ضابطا برتبة الملازم ، كل هذا قد تكررت مشاهده بعد هذا التاريخ بنحو عشرين سنة ، حين ترسم الشاب محمد نجيب خطى خاله فهرع إلى القاهرة بعد أن هجر دراسته بالخرطوم وقدم نفسه إلى السلطان ودخل المدرسة الحربية وعاد ضابطا برتبة الملازم إلى الخرطوم .. أكان هذا محض صدفة ؟ أم كانت قصة هذه المغامرة قد لاحقت خيال الصبى محمد نجيب حتى إذا ما بلغ سن المغامرة والهجرة انطلق بدوره من الخرطوم إلى القاهرة كما تنطلق طيور المهاجرة بالغريزة إذا ما آن موسمها .

فى السنة التالية أى فى عام ١٨٩٦ تخرج الضابط يوسف نجيب والتحق بالكتيبه ١٧ مشاه وكانت حملة دنقلة الكبرى قد بدأت ، فاشترك فى أكثر مواقعها وفى معظم معارك استرجاع السودان حتى عام ١٨٩٨ لاسيا معركتى فوكه والحفير ثم أم درمان ، وقد منح ميداليتى استرجاع السودان وما يتبعهما من مشابك . وحدث وهو من مجرد الصدفة هذه المرة — أن الملازم يوسف نجيب تعين فى عام ١٨٩٦ بالكتيبة ١٧ مشاه بالسودان وكان قائد سريته اليوز باشى حامد سعد،وفى عام ١٩١٨ تخرج الابن محمد نجيب فى المدرسة الحربية والتحق بالكتيبة ١٧ مشاه بالسودان التى كانت تحت قيادة القائمقام حامد سعد نفسه ، هذا مجرد صدفة !

تزوج الملازم يوسف نجيب بعد موقعة الحفير بدنقلة فى عام ١٨٩٨ بسيدة سودانية من قبيلة الشايقية من عائلة محمد حمزه وأنجب منها أكبر أبنائه،وهو المرحوم عباس نجيب،الذى أرسله والده بعد ذلك إلى مصر واستوطن بلدة والده النحارية بكفر الزيات واشتغل بالزراعة . وبعد أن تم استرجاع السودان واستقرت أحواله،تزوج الضابط يوسف نجيب فى عام ١٩٠٠ بأم درمان من شقيقة زميله عبد الوهاب محمد عثمان الذى عاد فى نحو هذا التاريخ إلى السودان بعد أن تخرج فى المدرسة الحربية وعين ضابطا بالكتيبة ١٥ سودانية .

أصبحت مهمة الجيش المصرى بعد انتهاء المعارك الحربية إعادة تعمير ما خربته الفتن لاسيا الخرطوم التى أصابها الكثير من الخراب والدمار أثناء الحصار وبعد سقوطها ، مما حوّلها من عاصمة كبرى إلى مجموعة من الخرائب ، وقد شجعت الحكومة ضباط الجيش على البناء والتعمير فاشترى الملازم يوسف نجيب قطعة من الأرض بالقرب من

الجامع العتيق وبنى عليه منزلا متواضعا مكونا من أربع حجرات ، وهى الدار التى ولد بها الرئيس محمد نجيب ثم أصبحت فيما بعد ناديا للموظفين المصريين ، ثم بيعت للكونت ميخالوس فى عام ١٩٢٥ بعد حوادث هذا التاريخ المعروفة بناحية ساقية أبو معلا .

***

ولد محمد نجيب بالخرطوم فى ٢٠ فبراير سنة ١٩٠١ ثم انتقل الى منزل الأسرة الجديد ، وقبل أن يبلغ الثالثة من عمره انتقل والده الملازم أول يوسف نجيب وأسرته الى وادى حلفا حيث عين مأمورا لسجنها الحربى ثم مأمورا لسجن وادى مدنى فى عام ١٩٠٥ وفى واد مدنى التحق الطفل محمد نجيب بكتاب البلدة .

يعرف الكتاب فى السودان بالخلوة ، ويعرف التلميذ بالحوارى والتلاميذ بالحيران ، والتقاليد الشائعة فى هذه الخلوات السودانية لا تختلف كثيرا عن الكتاتيب المصرية لا سيما فى أعلى الصعيد ، فهذه الكتاتيب أو الخلوات خاصة بتحفيظ القرآن ، ويتبع ذلك تعلم الطفل القراءة والكتابة فهى وسيلة لا غاية فى ذاتها ، ويكتب التلاميذ على ألواح من خشب العشر وغيره تطلى بمادة بيضاء تعرف عندهم بالحاية ، ويقوم على الخلوه فقيه يدفع راتبه أهل اليسار أو يجمع هذا الراتب مما يقدمه له أباء التلاميذ كل أسبوع وفى المواسم والأعياد وفى المناسبات الخاصة ، لاسيما عند ما ينتقل التلميذ من جزء الى جزء من أجزاء القرآن ، فيزوق الفقيه لوح التلميذ ويكتب عليه الآية الأولى من الجزء التالى ، ويحمله التلميذ الى البيت فيعود حاملا معه هدية الى الفقيه تعرف بحق « الشرافة » وعندما أتم الطفل

محمد نجيب جزء مم أجرى له الاحتفال المعتاد وتسلم الفقيه حق الشرافة . أما عند ما يختم التلميذ القرآن كله فتقام حينذاك للفقيه وليمة بالحلوة تعرف " بالحذاق " ويمنح ثوبا من الدامور أو الدبلان وشيئا من النقود .

وكان محمد نجيب وغيره من أطفال الكتاب يتوفرون على خدمة الفقيه فيجمعون له الحطب للوقود فى أيام الأربعاء، إذ أن الأجازة الأسبوعية هذه الخلوات تشمل يومى الخميس والجمعة ، وفى أيام الأربعاء هذه يسلق الفقيه شيئا من الذرة التى يأتى بها تلاميذه اليه يأكلونها مع شيخهم ويأخذون شيئا منها الى بيوتهم للتبرك وتعرف بكرامة الأربعاء .

هكذا بدأ الطفل محمد نجيب حياته الدراسية فى كتاب واد مدنى ، وعند ما بلغ السادسة من عمره انتقل والده الى بلدة سنجا بعد ترقيته الى رتبة اليوزباشى ، ثم الى بلدة أبى نعامه بالقرب من حدود الرصيرص مأمورا للمركز ، ولم يلبث طويلا حتى نقل الى مركز دلقو بالمحس بمديرية حلفا، وهكذا تتابعت تنقلات هذه الاسرة المصرية بين أنحاء السودان التى أصبحت فى ذلك التاريخ مكونة من ولدين ، هما محمد وعلى ومن شقيقتين ولدت الأولى بواد مدنى والثانية بسنجا . ورأى الأب أن تستقر أسرته بالخرطوم حتى يستقر فى وظيفته لهذا خلفها وراءه عندما نقل الى مركز دلقو.

وفى الخرطوم التحق الصبى التلميذ محمد نجيب وهو بعد فى السادسة من عمره بكتاب الخرطوم الذى كان على مسافة يسيرة من منزله بجوار المسجد وكان فقيهه الشيخ محمد أحمد ، ويذكر الرئيس من زملائه فى هذا الكتاب اليوزباشى حسن تلب من الضباط السابقين بقوة الدفاع السودانية .
وبعد بضعة شهور لحقت الأسرة بعائلها فى دلقو وعاشت بها عدة شهور

أخرى حتى انتقلت الى وادى حلفا . وفى دلقو كان الضابط يوسف نجيب يتولى تعليم ولديه محمد وعلى ، كما كان عمدة دلقو صديقه الشيخ فرح صالح يتطوع بتعليمه بأداء هذه المهنة (وعمدة دلقو هو والد الاميرلاى السيد فرح المعروف فى حوادث عام ١٩٢٤) وفى عام ١٩٠٨ إنتقل الضابط يوسف نجيب إلى وادى حلفا وعين مأمورا بها ، فاستقرت بها هذه الأسرة الجوالة نحو خمس سنوات ، وفى أكتوبر من هـذه السنة التحق التلميذ محمد نجيب بالسنة الأولى بمدرسة حلفا الأميرية فبدأ دراسته النظامية من هذا التاريخ .

كانت مدرسة حلفا مدرسة أميرية مصرية أنشأتها الحكومة المصرية كما أنشأت مدرسة سواكن بعد إخلاء السودان لتعليم أبناء المصريين الرابضين على الحدود أبان الثورة وعينت لها نظارا ومدرسين من المصريين ، ثم أنتقلت إدارة هاتين المدرستين إلى إدارة المعارف السودانية فى عام ١٩٠٣ وكان تلاميذ مدرسة وادى حلفا من أبناء الضباط ومن موظفى الحكومة الذين يعملون فى السكة الحديدية والبواخر النيلية ثم من التجار من أبناء الإقليم ومن أبناء أسوان إذ أن أكثر تجارة وادى حلفا فى ذلك الحين كانت فى يد التجار الأسوانيين ، ونذكر أن ناظر مدرسة حلفا إذ ذاك المرحوم أحمد أبو زيد الذى عين قبل تركه خدمة الحكومة وكيلا لمتحف التعليم ، ومن مدرسيها الأستاذ حبيب زكى لاغة الإنجليزية ، وعبد الفتاح زكى مدرس الحساب ، ومحمد مصطفى مدرس الجغرافيا الشيخ أحمد حزين (والد الدكتور حزين) مدرس اللغة العربية ، والشيخ محمد ساتى الذى رحل الى أندونيسيا وأصبح من العلماء البارزين فيها .

نشأ التلميذ محمد نجيب كما رأينا فى بيت للجندية وتنقل مع والده الذى كان يشغل وظائف إدارية شبه عسكرية فكان لا يرى حوله سوى

الضباط والجنود ويستمع كثيرا إلى نوبات البروجى أو إلى ضرب النـار ، فلا عجب إذا ما تلونت أحلام طفولته بهذه المظاهر العسكرية ، فكانت هوايته بناء القلاع بالأسمنت وتزيينها بالمبب والسواريخ ، وتكوين فرقة من أشقائه يرتاد بها الجبال والتلال المحيطة بوادى حلفا فى أيام الجمعة ، وإقامة خطوط للسكك الحديدية وأسلاك التلغراف ، كما استهوته ورشة البواخر النيلية فكان يقضى وقته فى بناء أسطول يصنع أجزاءه من علب الصفيح وقد لازمته هذه الهوايات فى مراحل حياته بعد ذلك ، فأصبح يهوى المغامرات الجريئة فى غابات الجنوب ويتسلق المرتفعات ويسير أياما على الأقدام دون أن يكل كما شغف بضرب النار واستخدام الأسلحة الأتوماتيكية وبرع فيهـا ، وكان استخدام هذه الأسلحة (مدافع الفيكرز) وقفا على الفرق السودانية دون الوحدات المصرية فلما كان الملازم محمد نجيب ضابطا بنقطة واو طلب الاشتراك فى التدريب عليها بمدرسة ضرب النار بالمـالا كال ، وسار إلى هذه البلدة على قدميه والمسافة بينهما نحو ١٥٠ ك . م ولكن قائد المدرسة الإنجليزى «وارن بك» رفض قبوله فرفع أمره إلى السردار مما اضطر الضابط الإنجليزى لقبوله بصفة استثنائيه .

ولعل هذه الهوايات العملية قد استحوذت على لب التلميذ محمد نجيب ، فانصرف حينا عن المذاكرة حتى جاء ترتيبه فى السنة الأولى السادس عشر ، وفى السنة الثانية الخامس عشر ، ثم بدأ يدفع ثمن هـذا الانصراف فجاء ترتيبه فى السنة الثالثة الثانى والعشرين ورسب فيهـا ، ومما ساعد ولا شك على هـذه النتيجة حادث حزين وقع للأسرة كان له وقع سيء على نفس الفتى بصفة خاصة وهى وفاة خاله الملازم أول عبد الوهاب محمد الذى كان فى عام ١٩١٠ مأمورا للرصيرص وحضر إلى حلفا مريضا بحمى

الكالازار وما لبث أن توفى ودفن بها ، وقد رأينا أن التلميذ محمد نجيب كان متأثرا بمغامرة خاله وسفره إلى القاهرة ودخوله المدرسة الحربية .

تعلم التلميذ محمد نجيب هذا الدرس فانصرف إلى عمله المدرسى انصرافا جديا كان من نتيجته أن قفز ترتيبه من ٢٨ الى الثالث فى رأس القائمة ونقل إلى السنة الرابعة الابتدائية .

وفى عام ١٩١٢ نقل اليوزباشى يوسف نجيب مأمورا لضواحى بلدة واد مدنى بمديرية النيل الأزرق فالتحق ابناه محمد وعلى بالمدرسة الابتدائية وكان ناظرها المرحوم عبد الله العربى وهو من أفضل الأساتذة وكان يدرس اللغة الأنجليزى والترجمة ، وكان مشهورا بشدته ، ومن اساتذة المدرسة الشيخ ابراهيم عبده للغة العربية ومحمود مصطفى للجغرافيا والشيخ عبد الرحمن أحمد مدرس اللغة العربية وهو أديب فاضل ذو ميل للصحافة وكان يشجع تلاميذه البارزين على الإنشاء بنشر كلماتهم فى الصحف فنشر موضوعا للتلميذ محمد نجيب عن التجارة فى جريدة الرأى العام السودانى ، ومما يذكر أنه اشتغل بالصحافة بعد أن هجر التعليم وأصدر جريدة باسم النيل .

كان من زملاء الرئيس فى مدرسة واد مدنى محمد أبو بكر النور ، وعبد السلام الخليفة التعايشى ، والمزمل عبد الله ، وعبد المجيد أحمد ، ورياض عبد السيد وكانت المنافسة بين هذا الأخير والتلميذ محمد نجيب شديدة على أولوية الفرقة . ومع هذا التفوق فان التلميذ محمد نجيب لم ينصرف عن هواياته لاسيما الرياضة وكانت الفرصة مواتيه إذ كان يسكن منزلا فسيحا يحيط به فناء تبلغ مساحته ثلاثة أفدنة بلغ إيجاره خمسة وسبعون قرشا لاغير ! يضم حظيرة بها ثلاث أفراس و جمل و بعض الحمير فبذلك أشبع الفتى رغبته

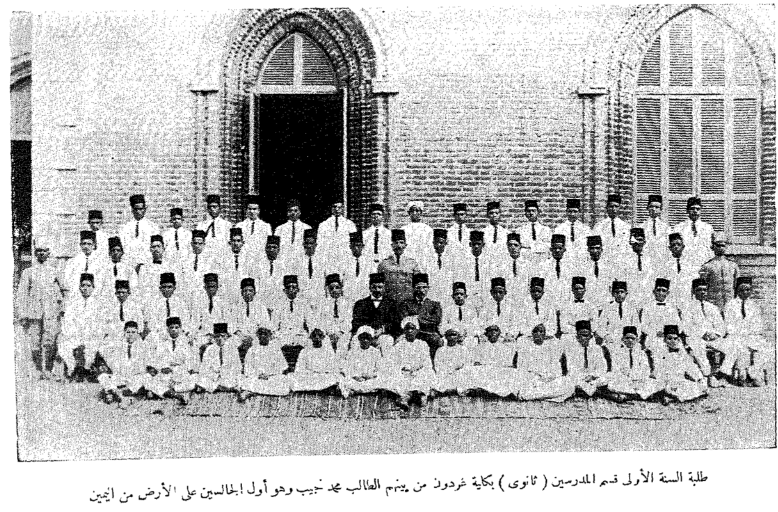
فى ركوب الخيل و إن كان يفضل السباق على الجمال . وحدث أن قص الاخوان ذيول الأفراس الثلاث لغرض تزيينها فغضب والدهما واضطر إلى شراء جواد رابع كامل الذيل ، إذ لا يجوز لضابط مثله أن يمتطى جوادا مقصوصا ، ولكن لم يكلفه ذلك أكثر من ٢٥٠ قرشا .

وفى نهاية العام عقد امتحان عام للشهادة الابتـــدائية السودانية فى الخرطوم فسافر الاخوان محمد وعلى نجيب من واد مدنى ، وهناك اجتمع تلاميذ المدارس السودانية الست وهى الخرطوم وأم درمان وواد مدنى وحلفا وسواكن و بربر ، وقد نجح الاخوان وكان ترتيب التلميذ محمد نجيب الثانى فى هذه الشهادة ، أما الأول فهو زميله رياض عبد السيد .

*
* *

بنجاح التلميذ محمد نجيب التحق بكلية غردون التى كانت قــد افتتحت فى عام ١٩٠٣ بعد أن جمعت لانشائها تبرعات فى لندن والقاهرة وسائر بلاد الامبراطورية البريطانية بلغت نحوا من ١٣٠ ألف جنيه ؛ وكانت سياسة المشرفين عليهـا وكلهم من الانجليز تشجيع دخول أبناء السودان و بعض الجاليات الأجنبية دون المصريين ، لهـــذا كان قبول الطالب محمد نجيب استثناء لهـــذه القاعدة نظرا لأن والده من موظفى حكومة السودان .

كانت مدة الدراسة بهـــذه الكلية أربع سنوات ، وكانت مقسمة إلى ثلاثة أقســام مستقلة الأول لتخريج المدرسين والثــانى للمهندسين والثــالث للقضاة ، وكانت رغبة الطالب محمد نجيب أن يلتحق بقسم المهندسين ، وكان المستر بومان مفتش المعارف قد أعطى وعدا لليوز باشى



طلبة السنة الأولى قسم المدرسين (ثانوى) بكلية غردون من بينهم الطالب محمد نجيب وهو أول الجالسين على الأرض من اليمين

يوسف نجيب بقبول ابنه فى هذا القسم إلا أن المستر سمسون وكيل مدير المعارف السودانية " وهو الذى كان مراقبا للتربية البدنية فى مصر بعد ذلك" رفض هذه الرغبة ، إذ أن السياسة الانجليزية كانت ترمى إلى إقصاء المصريين عن الاشتغال بشئون الهندسة نظرا لعلاقتها بأعمال الرى والزراعة بالسودان ، ولما عرض محمد نجيب شكواه إلى المستر يودل المشرف على الكلية رفضها بغلظة فاضطر الطالب محمد نجيب إلى دخول قسم المدرسين والتحق بالقسم الداخلى نظرا لوجود والده بواد مدنى .

كانت إدارة المدرسة بيد الانجليز و كان المعلمون الإنجليز يعاملون تلاميذهم لاسيما المصريين فى غلظة واضحة وفى تحد سافر، وقد لاقى الطالب محمد نجيب عنتا شديدا منذ اليوم من دراسته ، فقد حدث أن مدرس اللغة الانجليزية المستر " نورمان فيلد" أعطى تلاميذه قطعة إملاء ، جاء فيها أن مصر محكومة بالانجليز، فاعترض الطالب محمد نجيب مصححا ، أن مصر محتلة بالانجليز لامحكومة بهم ! فما كان من المدرس الانجليزى إلا أن ثار وغضب، وطلب اعتذارا من الطالب الجرئ، فلما رفض هذا الاعتذار عاقبه بالجلد عشر جلدات على الظهر .

ولم يكن هذا العقاب الوحيد الذى تعرض له الطالب محمد نجيب، إذ لم تمض أيام على هذا الحادث، حتى وقع حادث آخر ، ذلك أن الطالب محمد نجيب اتفق مع اثنين من زملائه هما ، يونس نجم ، وأحمد ماضى أبوالعزائم على إلقاء محاضرة عن الحضارة الاسلامية ، فلما اكتشفت إدارة المدرسة أمرها ، وجه المشرف الانجليزى كلمات قاسية إلى المجتمعين منادية إياهم " بالحيوانات " ، فثار الطالب محمد نجيب وطلب منه الاعتذار ، فما كان من المشرف إلا أن أمر بجلده عشر جلدات أخرى !

وبعد أيام معدودة ، وقع حادث ثالث ، فقد ألقى مدرس إنجليزى آخر كراسة إنشاء الطالب محمد نجيب من النافذة ، ثم أمره بإحضارها ، فامتنع ، فكان جزاءه الجلد كذلك ... لقد كانت حياة هذا الطالب صراعا دائما مع الانجليز الذين كانوا يحاولون استفزازه أو الحط من كرامة وطنه . وكانت سياسة المشرفين الانجليز واضحة فى التفريق بين الطلبة المصريين والسودانيين بالكلية ، فكانوا يمنعون كل اختلاط بينهم، حتى فى الصلاة !

ونذكر من الأساتذة المصريين بكلية غردون فى هذا التاريخ ، الشيخ عثمان أبو المجد الذى كان من قبل معلما لوالد الطالب محمد نجيب بالقاهرة ، والشيخ محمد ناصف مدرس التاريخ، والأستاذ مسيحة بشارة، وعبد الجليل القرضاوى مدرس الرسم ، والسيد فؤاد الخطيب الذى تولى الوزارة فى الحكومة السعودية ، ومحمد رفعت مدرس الرياضة ، ثم المرحوم عبد الرؤوف سلام الشاعر المجيد . ومن زملاء الرئيس فى كلية غردون المرحوم حامد ندا ، وحسنى الشريف ومحمود خيرى ورياض عبد الشهيد وإبراهيم سرور ومحمد نصرت .

ومع هذه الحياة العاصفة نجح الطالب محمد نجيب بتفوق وكان ترتيبه الأول وحصل على أعلا الدرجات فى اللغة الانجليزية والترجمة .

* * *

وقع فى اليوم الأخير للامتحان وكان يوم ٩ يونيه سنة ١٩١٤ حادث أليم إذ توفى المرحوم يوسف نجيب ، وذلك انه خرج لضبط حادث فى ضواحى واد مدنى مما اضطره إلى قطع مسافة أربعين ميلا على ظهر

جواده فأصيب بالتهاب فى الأعور ، و بعد أن قضى ستة أيام فى واد مدنى نقل إلى الخرطوم ، وأخفى أمره عن أبنه حتى قضى نحبه ، وكانت نصيحته اليه حين سافر إلى كلية غردون تتضمن كلمتين يابنى " كن رجلا " وكان هـذا شعاره إبان تلمذته وفى حياته فيما بعد ، فاحتمل هذه الصدمة القاسية بصبر عجيب ، اذا خرج من امتحان التاريخ ليتقبل شكر المعزين وكانوا جمعا غفيرا .

وفى واد مدنى اجتمع أصدقاء الأسرة وبينهم الأستاذ عبدالرحمن السبكى مفتش المعارف وولى أمر التلميذ محمد نجيب ، والمرحوم ابراهيم عرابى وكان موظفا بواد مدنى وغيرهم ليتشاوروا فى أمر هذه الأسرة بعد وفاة عائلها لاسيما وان ورثته لم تمنحها الحكومة معاشا بل مكافأة كلية بلغت ١٩٦ جنيها ليس الا ! غير ماخلفه لهم المرحوم يوسف نجيب من منزل فى الخرطوم ، وآخر فى وادمدنى ، فرؤى أن تعود الأسرة الى مصر ، ثم استقر الرأى على أن تبقى بالسودان حتى ينتهى الأبنان من تعليمهما .

***

ومع أن الطالب محمد نجيب كان قد حصل فى العام السابق على شهادة الدراسة الابتدائية السودانية إلا أنه اتفق مع والده قبل وفاته على أن يحصل على الشهادة الابتدائية المصرية لكى يحفظ لنفسه خط الرجعة إذا ما تهيأت الظروف لمواصلة الدراسة العالية فى مصر ، وقد أصبحت هذه الرغبة ضرورة بعد وفاة والده ، وهكذا سافر الشقيقان محمد وعلى إلى أسوان ليؤديا هذا الامتحان بلجنتها ، وكانت هذه أولى زيارة الفتى محمد نجيب الى مصر بعد زيارتين عجلتين فى طفولته ، وفى أسوان نزلا ضيفا مع شقيقه

على الصاغ السيد لبيب صديق والده، ومما يذكر أن محمد نجيب تسلم خطابا من زميله البوصيرى بالخرطوم يذكر فيه أنه اطلع فى منامه على سؤال فى امتحان الجغرافيا وكان عن الصين، ومن العجيب أن هذا السؤال ورد بالفعل فى امتحان الجغرافيا !.. وما زال الرئيس يذكر هـــذه النادرة ويعجب لها .

عاد محمد نجيب وشقيقه الى الخرطوم وقد حصلا على الشهادة الابتدائية المصرية، وقد سبقتهما اليها الأسرة بعد أن تركت واد مدنى، ونزلت الأم بدار أخيها بناحية القبب فى شارع عباس ، وفى أكتوبر سنة ١٩١٤ عاد الطالب محمد نجيب الى كلية غردون بالسنة الثانية ، ثم انتقل الى السنة الثالثة فالرابعة فى شهر يونيه عام ١٩١٦ ، وفى هــذا التاريخ رأت ادارة المدرسة أن تجعل بدء السنة الدراسية بها فى شهر يناير ، فأعادت امتحان تلاميذ السنة الرابعــة حتى اذا انتهى الامتحان منحت تلاميــذها اجازة لمدة أسبوع ، فكان أسبوعا فاصلا فى حياة الطالب محمد نجيب .

* * *

سافر محمد نجيب فى يوم ٥ يناير سنة ١٩١٧ من الخرطوم متكتما هــذا السفر حتى عن أقرب معارفه ، وتتردد فى مخيلته تلك الفكرة التى ترددت واختمرت منذ عشرين سنة فى ذهن خاله عبد الوهاب محمد وهى دخول المدرســة الحربية بالقاهرة فوصلها فى يوم ١١ يناير ولكنه فوجىء بأن الدفعة الأولى تم الكشف عليها وقبولها منذ أول يناير .. ومع ذلك فلم يعترف هذا الشاب المغامر بالهزيمة ، بل جاهد حتى اتصل بالسلطان حسين كامل كما اتصل خاله بالخديو عباس ، ثم قابل سردار الجيش

المصرى ونجت باشا ، ومدير المدرسة الحربية اللواء هربرت باشا ، مبررا أحقيته فى دخول المدرسة الحربية باعتبار أن أباه وجده وخاله من رجال الجيش وأنهم جميعا توفوا فى خدمة الجيش بالسودان . وقد صادف بعض النجاح فى محاولته فأعطى وعدا بقبوله مع طلبة الدفعة الثانية على أن يكون لائقا جسميا ! والحقيقة أنه كان ينقص سنتيمترين من الطول المقرر لقبول الطالب ، فكانت هناك على كل حال فسحة أمل وإن كانت ضئيلة .

*
* *

عاد الطالب محمد نجيب الى الخرطوم وإلى كلية غردون ، فكان محل شماتة المستر سمبسون وغيره من المدرسين الانجليز لفشله فى محاولته ، ولكنه كتم غيظه وراح يحاول التغلب على عقبة الطول بمداومة الألعاب الرياضية لاسيما العقلة ! ولم يلبث أياما حتى فوجىء بإلغاء الفرقة الرابعة بقسم المدرسين إذ اتضح للمسئولين أن أكثرهم من أبناء المصريين فالتحق بعضهم بالوظائف ونقل البعض للعمل بمعمل الكيمياء ، وقدمت المدرسة اسم محمد نجيب للترشيح فى وظيفة مترجم بديوان المالية ولكنه بيت العزم على رفض هذه الوظيفة ولو أنه كان أجدر المتقدمين لها ، فذهب لمقابلة السكرتير المالى المستر "مالنز" متهاملا فى ملبسه حتى يبدو فى زى لا يليق بموظف مسئول كما تعمد الإهمال فى الكتابة ، فتم له ما أراد ، وعاد إلى الكلية للعمل بمعمل الكيمياء انتظارا لدعوة من القاهرة للتقدم إلى المدرسة الحربية مع الفوج الثانى .

*
* *

فى يوم ٢٦ مارس ١٩١٧ وصل البشير إذ ورد تلغراف من المدرسة يدعو الطالب محمد نجيب للتقدم لامتحان الكشف الطبى ، وفى اليوم نفسه حزم محمد نجيب أمره و حزم ملابسه وسافر بالقطار إلى حلفا ومنها استقل الباخرة النيلية إلى أسوان حتى يصل فى الموعد المقرر وهو أول أبريل عام ١٩١٧ ولكنها كانت رحلة جاهد فيها اليأس والفشل فى كل مرحلة من مراحلها ، وكأنها قصة سينمائية من قصص المفاجآت .

كانت المفاجأة الأولى تعطل الباخرة النيلية بين حلفا وأسوان أربعا وعشرين ساعة كاملة ، فما كان من الطالب المتعجل إلا أن أرسل تلغرافا إلى المدرسة الحربية ينبؤها بهذا التعطيل المفاجىء غير المنظور .

وكانت المفاجأة الثانية انقلاب قاطرة الواردية بين أسوان والأقصر مما أدى الى تأخير القطارات ست ساعات أخرى ، فما كان من الطالب المتعجل إلا أن أرسل برقية ثانية إلى المدرسة الحربية ينبؤها بهذا التعطيل غير المنظور .

وفى ضحى أول أبريل وصل الطالب محمد نجيب إلى محطة العاصمة فهرع من فوره إلى العباسية ، وهناك فوجىء بأن الكشف الطبى وعلى وشك الانتهاء ووجد الأبواب مقفلة ، فهل وقف مكتوفا الذراعين أمام هذه العقبة الجديدة ؟ لا ، لم ينتظر ولم يتردد بل تسلق السور بعد أن امتنع عليه الدخول من الباب ووثب إلى الفناء الداخلى وهو ينادى « أنا الطالب الذى جاء من السودان . . ! » مما جعل الجندى الذى كان بانتظاره بالسونكى المسلول يرتد و يفسح له الطريق .

لقد وصل أخيرا ! ! ولكن ليجد نفسه أمام العقبة الأخيرة فى هذه المعركة فإن طوله فى حاجة إلى سنتيمتر آخر ، بيد أنه لم يكن فى حاجة

إلى محاولة لإقناع اللواء هربرت باشا ناظر المدرسة بأنه وهو ما زال في السادسة عشرة من عمره قادرا على استيفاء هذا النقص فى طوله وحاول أن يدلل على رأيه بأسانيد علمية ، فالتفت ناظر المدرسة إلى الدكتور كارول باشا فوافقه، ثم أمن عليه باشخوجة المدرسة الحربية المستر براين الذى كان من قبل معلما لوالده فى المدرسة الحربية نفسها .

لقد انفرجت الأزمات واحدة اثر واحدة وبدأ الأمل يبتسم للطالب المغامر فتقدم للامتحان التى عقدته المدرسة للمتقدمين فكان أول الناجحين متقدما على الثانى بمائة درجة .. وبعد أيام قليلة تقرر نقله من الفرقة الخامسة إلى الفرقة الرابعة نظرا لتفوقه .

وفى شهر يونيه نقل إلى السنة الثالثة وكان ترتيبه الأول متقدما على الثانى بـ ١٠٨ درجة وفى أكتوبر نقل إلى السنة الثانية محافظا على أولويته ومتقدما بـ ١٠٧ درجة ، وفى شهر يناير تقررت ترقيته استثناء لكفاءته إلى رتبة الملازم الثانى وهكذا طوى هذه الدراسة فى تسعة أشهر !

وهكذا بدأ الضابط محمد نجيب حياته العملية فعين كما عين أبوه من قبل ضابطا بالكتيبة السابعة عشرة السودانية ، فسافر إلى السودان ووصل إلى الخرطوم فى يوم ١٩ فبراير سنة ١٩١٧ .

بعد هذا النجاح السريع والتوفيق المتلاحق كان من الجائز أن تهدأ نفس هذا الضابط الشاب وتقر عينه ، فها هو ذا قد أصبح ضابطا بالجيش يضع صورته بالزى العسكرى فى مكانها على الحائط إلى جوار صور والده وخاله وغيرهما من أبناء أسرته العسكريين ، وقد حالفه التوفيق فعاد إلى الخرطوم بالذات وهى مدرج صباه وفيها أسرته ومعارفه ،

ولكن الحقيقة أن توفيقه ونجاحه السريع انتهى بنكسة كان لها أثر بالغ في مستقبل حياته ..

لم يكن من المبالغة في شيء حين نصح الناصحون هذا الشاب بأن الجيش المصري في ظل الاحتلال وتحت قوامة رؤسائه الانجليز ليس مما يشرف الانتساب إليه ما دام الضابط في الجيش المصري ليس في الحقيقة سوى مقدم عمال ! وأن الصور الزاهية عن حياة الجندية والبطولات العسكرية قد أصبحت أحلاما وظل الاستعمار ممتد على الوادي ، هذا ما قيل له ونصح به وهذا ما عرفه الآن عن تجربة ..

* * *

ما كاد الملازم ثان محمد نجيب يستقر في الخرطوم بحري بالكتيبة ١٧ في فبراير سنة ١٩١٧ حتى صدر الأمر له ولأربعة من الضباط مع سرية مكونة من ١٥٠ جنديا ومثلها من الكتيبتين ١٣ والرابعة مشاة وفصيلة من الاستحكامات بقيادة الملازم عبد الله خليل للسفر فورا إلى محطة " واد بناجة " بالقرب من شندي وعلى مسيرة نحو ثلاثمائة كيلو متر ، وذلك للعمل في إنشاء وتقوية جسور السكة الحديدية التي كانت مهددة بالفيضان ! أليس الضابط في الجيش المصري إذ ذاك ليس سوى مقدم عمال ! نعم لقد تحققت النبوءة وكانت سريعة لم تنتظر . وهكذا قضى الملازم محمد نجيب الشهور الستة الأولى من خدمته العسكرية يشاهد مئات من الجنود المصريين والسودانيين تحمل المعاول والمقاطف والأتربة وتسير كالأشباح لا في دخان معركة ولكن في غبار التراب والرمال ، يعيدون الى الأذهان صور عمال السخرة في بناء الهرم أو شق قناة السويس .

ما أسرع أن دخل من الباب السحري، وما أسرع أن أراد الخروج منه ! نعم لقد حفزته هذه التجربة على أن يتخلص من الجيش مهما كلفه

الأمر ، ولكن كيف ؟ بمتابعة دراسته المصرية وقد وقف على أول السلم بالفعل بحصوله على الشهادة الابتدائية ، فالخطوة التالية هى شهادة الكفاءة ثم البكالوريا . ومن يدرى فربما ينتسب إلى مدرسة الحقوق ويحصل على الليسانس ،أليست هذه أحلاما ذهبية تروح وتغدو فى رأس الضابط الشاب وهو غارق فى زوبعة من التراب عند واد بناجه ! ولكن من يدرى فالحياة جهاد ومن سار على الدرب وصل .

ثم عاد إلى الخرطوم وبدأ فورا فى الاستعداد للمستقبل، بجمع ما أمكنه من كتب الدراسة الثانوية وأرسل فى طلب غيرها من القاهرة وراح يدرس ويستذكر فى وقت فراغه، وانتقل حينا الى الأبيض ثم عاد ثانية الى الخرطوم، وهكذا قضى ثلاث سنوات حتى واتته الفرصة فسافرت كتيبته الى القاهرة فى شهر مارس سنة ١٩٢١ ولكنه فوجىء بتسريحها ونقله الى فرقة العرب الغربية بالفاشر . بيد أنه وقد اعتزم التقدم لشهادة الكفاءة إذ ذاك ولم يبق على موعد عقد الامتحان سوى شهران طلب انتدابه للعمل ببوليس القاهرة لمدة عام فقبل طلبه فالتحق بمدرسة البوليس وقضى بها شهرين لدراسة القانون الادارى ولوائح البوليس وما يرتبط بها ،فبذلك أضاف ذخيرة جديدة من الدراسات ثم تجربة أصابها من عمله فى أقسام القاهرة فتنقل بين قسم عابدين و بولاق ومصر القديمة وحلوان .

تقدم الطالب الضابط محمد نجيب فى يونيه سنة ١٩٢١ لإمتحان شهادة الكفاءة ونجح فيها وكان نجاحا ملحوظا إذ كان ترتيبه ١٧٥ من مجموع الناجحين الذين بلغوا ١٣٢٤ ناجحا .

* * *

بعد أن انقضى العام فى القاهرة عاد الضابط محمد نجيب ثانية الى السودان إذ نقل الى الكتيبة الثالثة عشرة مشاة ببحر الغزال فى السودان الجنوبى فغادر القاهرة فى منتصف شهر نوفمبر سنة ١٩٢٢ ووصل إلى مقر عمله الجديد فى واو فى اليوم الأخير من عام ١٩٢٢ ولعله كان فى واو أسعد حالا منه فى شندى إذ وجد مجالا لممارسة هواياته القديمة من رحلات للصيد والقنص فى الغابات وتسلق للمرتفعات ، وكان يقضى أمسياته فى المذاكرة على مصباح الغاز تحضيرا لشهادة البكالوريا المصرية ، ولم تدم هذه الفترة طويلا إذ بعد انقضاء شهرين فى هذا المركز المنعزل ارتحل إلى "المالاكال" كما أسلفنا للالتحاق بمدرسة ضرب النار والتدرب على استخدام الأسلحة الأوتوماتيكية، وصادفت هذه المهمة هوى فى نفسه حتى أنه قطع المسافة بين البلدتين فى سبعة عشر يوما مشيا على الأقدام وغوصا فى المستنقعات ، ولكنه فوجىء برفض قائد المدرسة الإنجليزى قبوله إذ كانت السياسة الإنجليزية لا تشجع تدريب المصريين على هذه الأسلحة الحديثة فلم تدخل استعمالها فى الجيش المصرى ولا فى المدرسة الحربية ، وبدأ الصراع من جديد بين الضابط المصرى والرئيس الانجليزى وارن بك وأصر الملازم محمد نجيب على امتناع عن العودة إلى مقره فى واو إلا موقوفا عن العمل إذا تمسك قائد المدرسة بمنعه من الإشتراك فى التدريب، حتى وصلت أخبار هذا النزاع إلى السردار فى الخرطوم ورأى من الكياسة أن يجيب طلب الضابط المصرى وهكذا تم له ما أراد .

* * *

فى ٢٣ أبريل ١٩٢٢ صدر الأمر بنقل الملازم الأول محمد نجيب إلى الحرس الملكى بالقاهرة، وكان ذلك آخر عهد لابن السودان بالسودان حتى عاد فى مهمة سياسية بعد ذلك بخمسة عشر عاما .

هكذا وجد محمد نجيب نفسه مرة ثانية فى القاهرة فانصرف الى المذاكرة والدرس فى منزله وتقدم إلى امتحان الشهادة البكالوريا وكانت نقطة ضعفه اللغة الفرنسية التى تعلمها فى السودان على غير معلم باستخدام كتاب "هوجو" وهو من الكتب التى يستخدمها السائحون فى تعلم اللغات الحية، فجاء نطقه بها فى أول الأمر لا يستقيم مع اللهجة الصحيحة التى لا يتلقنها المتعلم الا بالسماع ، وكان من نتيجة ذلك أن حصل على شهادة البكالوريا فى ملحق عام ١٩٢٣ . وهكذا انفتح الباب أمامه للدراسة العالية .

فى أكتوبر عام ١٩٢٣ وبعد فوزه بشهادة البكالوريا تقدم الضابط الطالب محمد نجيب وانتسب بمدرسة الحقوق الملكية، ولأول مرة انتظمت دراسته لوجوده فى القاهرة فانتقل من فرقة إلى فرقة وبعد سنوات أربع حصل على شهادة الليسانس فى مايو ١٩٢٧ وهو بعد فى رتبة الملازم الأول بعد تخرجه من المدرسة الحربية بعشر سنين ، وحفزه هذا النجاح على مواصلة دراساته العليا فى القانون فأعد نفسه للحصول على درجة الدكتوراه التى مهد لها بالحصول على شهادة الدراسات العليا فى الإقتصاد السياسى عام ١٩٢٩ وشهادة الدراسات العليا فى القانون الخاص عام ١٩٣١ وبدأ الخطوط الأولى فى إعداد رسالته عن "العنصر الإنسانى فى الجيش" ولكن تنقلاته المتلاحقة بين وحدات الجيش حالت بينه وبين إعداد رسالته للحصول على الدكتوراه .

*
* *

كان من نتائج عقـــد المعاهدة المصرية البريطانية فى عام ١٩٣٦ أن اتفق على اعادة الجيش المصرى الى الجنوب بعد خروجه على أثر حوادث عام ١٩٢٤ المعروفة ، ولهذا الغرض شكلت لجنة برياسة اللواء

ابراهيم خيرى للسفر إلى السودان لتنظيم إعادة الجيش ، و كان أحد أعضاء هذه البعثة اليوز باشى محمد نجيب ،وهكذا وجد ابن السودان نفسه مرة ثانية فى الربوع القديمة التى درج عليها ووجد نفسه مضطلعا بمهمة حبيبة إلى نفسه وهى إعادة الرتق الذى أحدثه الاستعمار بين شمال الوادى وجنوبه فى عام ١٩٢٤ واستشهد فى سبيله عدد من شباب الجنوب وشتت شمل الكثير منهم ووقف الاستعمار بالمرصاد لمن يقدم يد المساعدة والعون إلى هؤلاء الرواد الأول فى حركة التحرير ، حتى لمن سعى منهم برجليه إلى القاهرة ، لقد كانت مأساة حقا لولا إيمان من هؤلاء وود صادق وولاء من بعض المخلصين لقضية الوادى ومن هؤلاء اليوز باشى محمد نجيب ، لهذا كان اختياره للسفر ضمن البعثة العسكرية إلى السودان فى عام ١٩٣٧ موفقا جد التوفيق

كان اليوز باشى محمد نجيب أثناء حوادث عام ١٩٢٤ كما أسلفنا ضابطا بالحرس الملكى ولكن لم تمنعه حساسية مركزه من الاتصال الدائم بالمجاهدين السودانيين الذين حضروا أوهربوا من السودان إلى القاهرة ومن هؤلاء عرفات محمد عبدالله وكيل جمعية الهلال الأبيض والسيد أحمد حسن مطر اللذين اتهما فى حادث السردار وأودعا السجن ثلاثة وثمانين يوما على ذمة التحقيق فزارهما فى معتقلهما بسجن الاستئناف و كانت هذه الزيارة سببا فى نقله من الحرس الملكى فى مايو سنة ١٩٢٥ ، فبذلك أصبح أكثر حرية للاتصال بأعضاء هذه الجمعية الوافدين على القاهرة ومنهم المرحوم محمد محمود فرغلى الذى توفى بمصر والمرحوم محمد سر الختم والسيد آبا يزيد وحسن محمد شريف ، كما اتصل (بالأميرالاى) السيد فرح الذى هرب من السودان بعد الحكم عليه بالاعدام وعاش متخفيا فى مصر حينا وعمل على مساعدته للهرب الى ليبيا . ومن الضباط السودانيين الذين أحيلوا

إلى الاستيداع وحضروا إلى مصر المرحوم، القائمقام ابراهيم فرج علام والمرحوم الاميرالاى فرج الله محمد والمرحوم القائمقام محمد عبد الدائم والمرحوم اليوزباشى عبد الحميد فرج الله و (اللواء) على البنا كبير الياوران الحالى و (اللواء) عبد العزيز عبد الحى مدير أسوان الحالى و (الأميرالاى) السيد شحاتة و (الأميرالاى) زين العابدين عبد الفتاح و (الأميرالاى) خضر على وغيرهم .

وهكذا كانت عودة اليوزباشى محمد نجيب إلى السودان فرصة لأداء الواجب نحو أولئك الأبطال أو أسرهم الذين انتهت حياتهم فى السودان أو عجزوا عن السفر إلى القاهرة . لقد كان استقبال أعضاء البعثة المصرية فى الخرطوم مظاهرة وطنية رائعة لولا الاحتياطات الشديدة التى اتخذها المسئولون الانجليز فى السودان ، ومع ذلك فلم تمنع هـذه الاحتياطات المواطنين من التجمهر فى الطرقات والطلبة من اعتلاء الجدران والنساء من الزغاريد فى طريق البعثة .

ومع أنه كان مفروضا على أعضاء البعثة سياج يمنع اتصالهم بالمجاهدين السودانيين ، إلا أن اليوزباشى محمد نجيب سعى سرا لزيارة أسر الشهداء فزار والدة المرحوم الملازم أول ثابت عبد الرحيم والمرحوم عرفات محمد عبد الله فى أم درمان وغيرهما وتوفر على كتابة قائمة بأسماء هؤلاء الأبطال الأحياء منهم والمستشهدين ومن بينهم المرحوم الملازم على عبد اللطيف، وحملت البعثة هذه القائمة إلى القاهرة لعلها تفعل شيئا لتقيل عثارهم ولكن شيئا جديا لم يتم ، وإن كانت المحاولات قد نجحت فى إيجاد عمل لبعض طلبة الكلية الحربية الذين سرحوا بعد حوادث ١٩٢٤ نذكر منهم المرحوم ادريس عبد الحى الذى عين معاونا بمصلحة الحدود والمرحوم عوض الله

سالم الذى عين بوزارة الصحة والمرحوم (اليوز باشى) حسين صالح خليفة الذى عين بمصلحة الحدود و بشير مرسال و بشير فضل الله وابراهيم سعيد عثمان الذى عين بوزارة الحربية وغيرهم .

ولم تنقطع هذه الصلة باستقرار الضابط محمد نجيب فى القاهرة بل ان داره أصبحت مزارا لكل مواطن سودانى وفد على العاصمة ، منهم الزعيم الدينى والموظف والتاجر ، والضابط المتقاعد ،ومنهم القريب والنسيب ومنهم الصديق والرفيق القديم ، وكان الضابط محمد نجيب يحس حينذاك بأن هؤلاء الأشقاء يترلون بمصر بدار غربة لا يعنى بأمرهم مسئول أو غير مسئول ، فكان يقيم الدعوات فى بيته للتعارف وكان يتصل بالمؤسسات الوطنية لهذا الغرض لا سيما الجمعية الزراعية و بنك مصر ، وكانت داره فضلا عن ذلك مجتمعا لأبناء السودان المستوطنين فى القاهرة،وقد حدث فى عام ١٩٤٦ خلاف بين هؤلاء فاختير وسيطا لإصلاح ذات البين باعتباره صديقا للجميع لا فرق بين شيعهم وأحزابهم ، فنجح فى مسعاه وانتهى إلى صلح عام بعد حفل كبير أقامه فى منزله ، ولكن عين السفارة البريطانية كانت ترقب هذه الاتصالات بغير رضا حتى انها أرسلت كتابا رسميا إلى رئيس الحكومة المرحوم النقراشى تلفت فيه نظره إلى "أن القائمقام محمد نجيب قد اعتاد على عقد اجتماعات مع بعض السودانيين بمنزله رقم ١٧ شارع سكة الميدانين بسراى القبة للتباحث فى الشئون السياسية الخ" .

*
* *

وفى ابان الحرب العالمية الثانية عندما وفدت من الجنوب بعض فرق من قوة الدفاع السودانية للاشتراك فى معارك الصحراء الغربية واتخذت معسكرا لها فى منطقة بنى يوسف بمديرية الجيزة، كان البكباشى محمد نجيب

وثيق الصلة بهم وعمل بالاشتراك مع الجمعية الزراعية وبنك مصر والأمير عمر طوسون على تقديم الهدايا لأفراد هـــذه القوات فى الأعياد وإقامة الدعوات لهم فى منزله ، ولما بلغ أمر هذه الاتصالات بقلم المخابرات البريطانى منع ضباط هـذه القوات من النزول إلى القاهرة أو قبول دعوات المصريين . ثم تجددت هذه الصلة إبان حملة فلسطين عندما كان الأميرلاى محمد نجيب قائدا لفصيلة من المتطوعين السودانيين بالمجدل* .

---

* (١) تشمل أسماء الضباط السودانيين الذين حضروا إلى مصر فى عام ١٩٢٤ السادة : اللواء إبراهيم عبد الرحمن ، واللواء عبد العزيز عبد الحى ، والمرحوم الأميرالاى فرج الله محمد ، والأميرالاى سعيد شحاته ، والأميرالاى خضر على ، والأميرالاى سيف عبد الكريم ، والقائمقام زين العابدين عبد التام ، والمرحوم القائمقام عبد الدايم محمد ، والمرحوم البكباشى عبد الحميد فرج الله ، والبكباشى محمد جلال ، والمرحوم اليوزباشى عبد الله مرجان ، ثم حضر إلى مصر اللواء على البنا ثم الأميرالاى السـيد فرح ، والبكباشى أحمد حمدى عبد الجبار ثم المرحوم اليوزباشى عبد اللطيف مرجان والمرحوم اليوزباشى عبد الله حسن وغيرهم .

(٢) وفى عام ١٩٣٨ أحضر إلى مصر المرحوم الملازم أول على عبد اللطيف .

(٣) وفى عام ١٩٣٩ حضر إلى مصر البكباشى أحمد جابو والمرحوم اليوزباشى حسن عبد الرحمن الشلالى واليوزباشى إسماعيل أمين والمرحوم ملازم أول بحر يوسف وغيرهم .

(٤) وفى سبتمبر من السنة نفسها حضر إلى مصر ، البكباشى صالح حسن أبو كدوك والبكباشى خميس حلبى والبكباشى أحمد عقيل ، والصاغ عبد الله عطا ، والمرحوم اليوزباشى موسى هاشم ، والمرحوم اليوزباشى عبد القادر مرسال ، والمرحوم اليوزباشى خميس نجيب دنكاوى والمرحوم اليوزباشى حسن ألماظ ، واليوزباشى أحمد محمد زهران ، والمرحوم ملازم أول رمضان سعيد حماد . وتلا ذلك حضور اليوزباشية محمد سعيد عثمان وعطيه سالم ومحمد عثمان صالح وعلى محمد على وغيرهم .

=

هكذا اتصلت حياة الرئيس محمد نجيب بالسودان عن القرب والبعد ، صلة لم تنقطع ولا تزيدها الأيام إلا رسوخا لأنها صلة الدم والقربى والجوار .

أحمد عطية الله
مدير متحف التعليم

=(٥) ومن تلاميذ المدرسة الحربية بالخرطوم الذين سجنوا وشردوا ثم حضروا إلى مصر : المرحوم إدريس عبد الحى ، والمرحوم عوض الله سالم ، والمرحوم اليوزباشى حسن صالح خليفة ، وإبراهيم سعيد عثمان وبشير مرسال وآدم فضل الله حسنين ومحمد بغدادى وخليل النادى وغيرهم .

(٦) وتشمل أسماء الضباط السودانيين الذين تطوعوا فى حملة فلسطين وعملوا بالجدل تحت قيادة الأميرالاى محمد نجيب ؛ اللواء حامد صالح الملك والقائمقام زاهر سرور الساداتى والبكباشى أبو زيد محمد دين ، والبكباشى محمد صالح الملك واليوزباشى حسين خليفة واليوزباشى أحمد على دلدوم واليوزباشى عثمان محمد أحمد واليوزباشى آدم محمد ادم وغيرهم .



لواء أ.ح محمد نجيب ٢٠/٢/٩٥٤

